

الرسالة

5 me Année, No. 203

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 24 - 5 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٠٠

العـــدد ٢٠٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ — ٢٤ مايو سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

الرافـــعى

للدكتور عبد الوهاب عزام

(قال قائل : « مات سنائي ! »
ان موت مثل هـذا العظيم ليس خطبا أمما . لم يكن تبنة ذهبت بها الريح ، ولا كان ماء جمد في الزمهرير ، ولا كان مشطا كسرته شعرة ، ولا كان حبة سحقتها الارض ؛ انما كان كنزا من الذهب فى هذا التراب لايزن العالمين بمثقال ذرة
لقد رمي القالب الترابى الى التراب ، وحمل الروح والعقل الى السموات) (١)

ذكرت هذه الأبيات : أبيات جلال الدين الرومى حينما قرأت نعى الرافعى ، واعجباً ! أنضبت هذه النفس الفياضة ؟ أذبل هذا الخلق النضير ؟ أخمدت هذه الجذوة ؟ أطفىء هذا المصباح ؟ أكلت هذه العزيمة الماضية ؟ أفترت هذه الهمة الدائبة ؟ أأظلم هذا القلب الذى يملأ الدنيا ضياء ؟ أوقف هذا الفكر السيار ؟ أوقع هذا الخيال الطيار ؟ أسكن هـذا القلم المصور الذى يصبغ العالم كما يشاء ، يضحكه ويبكيه ، ويسخطه ويرضيه ، والذى اذا شاء صور أحزانه مواسم ، ورد أعياده مآتم ؟

(١) ترجمة أبيات لجلال الدين الرومي . وسنائي شاعر صوفى كبير .

أمات الرافعي في وقدة جنانه، وشعلة بيانه، وعزة قلبه وسلطانه؟ أطوى القلب الذي وسع الدنيا وما وسعته، وحقرها وأكبرته؟

كلا كلا! إن مولد الحر في الدنيا قليل؛ وإن موت الحر مستحيل. إن مولد الحر تتمخض عنه الأجيال بعد عناء، ويمهد له الزمان بعد جهاد، ليولد على الأرض تاريخ أو فصل من تاريخ، فاذا انقضى عمله وجاء أجله فهو تاريخ لا يمحى، وذكرى لا تموت!

ان الحر ليولد على هذه الأرض كما يولد النجم في أطباق السماء فلا يزال وضاء هادياً، أو كما يولد النهر في سفح الجبل فلا يفتأ جارياً ساقياً، أو كما تولد الحقيقة في أفكار البشر ثم لا تموت.

ان الحر الكريم قطرة صافية تستمد الله، فلا يحول عنها نوره؛ ولا يتحول عنها وحيه، وهي في خلق الله سنة لا تتبدل فلا تستعبد الحر الأهواء، ولا تذله المطامع؛ وهو يأبى على الحدود، وينفر من القيود، ويكبر على الزمان والمكان. إن خلق الناس زمانهم خلق هو زمانه، وان جد الناس مكانهم حد هو مكانه؛ فاذا ساق الناس التقليد أو قادهم، واذا خيل اليهم الباطل حقا والحق باطلا؛ وقف هو هازئاً أبياً يستوحي ربه، ويستفتي قلبه؛ واذا جرف التيار الخاصة والدهماء، فاضطربوا في موج الحادثات كالغثاء، ترمى بهم كل شط، وتنفر من كل أرض، ثبت الحر كالطود الأشم في البحر الخضم:

يظل كالطود يجري حوله نهر ... من الخطوب له بالناس طغيان
فاتت مآرب أهل الذل قمته ... فما يذلله نيـــل وحرمان

ان الرجل الحر صفحة في التاريخ جديدة، وخطوة في سير البشرية متقدمة، على حين لا يظفر التاريخ بجديد في آلاف المواليد، ولا يخطو خطوة إلى الأمام في كثير من الأعوام. وهل التاريخ كما قالوا إلا إعادة وتكرار؟

* * *

ولقد أوتي الرافعي من الحرية الالهية نصيباً، ومن النور الالهي قلباً، ومن الفيض الالهي ينبوعاً، فلبث دهره نسيج وحده، وظل حياته ينير للسالكين، ويسقي للظامئين. ولقد أوتي من العزة الاسلامية ما تخر له الجبال، ومن الهمة القرآنية ما تنشق له الأهوال. ولقد أوتي من الايمان ما أصغر الدهر في سطواته، ومن نور الايمان ما شق على الزمان ظلماته

كان الرافعي نوراً وسلاماً، ومحبة ووئاماً، فاذا سيم الدنية في دينه أو في أمته؛ وإذا تجهم الباطل لحقه، أو تطلعت المذلة إلى خلقه، ألفيت النور ناراً تلظى، والسلم حرباً تهيج، والحب بغضاً ثائراً، والرحمة شدة حاطمة

لبثت سنين طوالا أقرأ للرافعي ولا أراه، وأحبه ولا ألقاه، وأتحدث عنه معجباً ثم أقول لمحدثي: هذا وجه ما سعدت برؤياه، حتى لقيته العام في لجنة التأليف والترجمة والنشر وكأنا صديقان قديمان. ثم أتاحت الفرص لقاءه مرتين أو ثلاثاً كانت آخرتها في دار (الرسالة) بعد أن كتبت مقالي عن كتابه وحي القلم. ثم افترقنا وما علمت أنه آخر العهد، وفرقة الدهر!

* * *

وإني لأعترف للقارىء في غير تزيد ولا تصنع أني أجد في نفسي وقلبي تهيباً للكتابة عن الرافعي؛ وأرى جوانب تتسع ثم تتسع حتى يضيق المجال. ولقد حاولت أن أنظم فكنت كلما أخذت القلم تذكرت هذه الأبيات من منظومتي «اللمعات» فقلت انها تمثله. انها تمثل الرجل الحر حيث كان

حبذا الصوت فمن هذا البشير؟ ... ومن الهاتف بالقلب الكسير؟
ومن البارق في هذي الغيوم؟ ... ومن المسعد في هذي الهموم؟
ومن الهابط في نور السما ... هادياً في الأرض جيلا مظلماً؟
ومن السائق شطر الحرم ... وإلى الأصنام سير الأمم؟
ومن القارىء في بيت الصنم ... سورة الاخلاص في هذا النغم؟
ومن الحر الذي قد حطما ... من قيود الأسر هذا الأدهما؟
ومن الآبي على كل القيود؟ ... ومن القاطع أغلال العبيد؟
ومن الباعث في ميت الأمم؟ ... ثورة العزة من هذي الهمم؟
لاح كالغرة في هذا السواد ... بص كالجمرة في هذا الرماد؟

إنه ليصدق من يجيب كل سؤال في هذه الأبيات بهذا الاسم الكبير: «مصطفى صادق الرافعي».

عبد الوهاب عزام

بل ضرورية جداً

للأستاذ عباس محمود العقاد

تعودنا أن نسمع أن الفنون الجميلة من الكماليات التي يأتي دورها بعد العلم والصناعة في الأهمية، وفي مقالكم المشار إليه تقولون إن علينا أن نبدأ بالفنون الجميلة والرياضة لنتعلم الإرادة والعمل، فهل لكم أن تنيروا الطريق لنا بالتوفيق بين القولين . . . »

الاسكندرية صالح شحاته

* * *

الحق ياصاحبي أننا في عصر نحتاج فيه إلى غربلة وافية لجميع الألفاظ التي لهجنا بها زمناً في مطلع نهضتنا الحديثة، ومنها ألفاظ الضروريات والكماليات وتقديم الأهم على المهم والمفاضلة بين العلوم والفنون، وسائر هذه المحفوظات التي خلت من المدلول لكثرة تكرارها واكتفاء الآذان بسماعها دون التفكير فيها .

فمن الواجب « أولا » أن نفرق بين الفرد والأمة فيما هو من الشؤون الضرورية وما هو من الشؤون الكمالية .

فالفرد لا يشترط فيه أن يستوفى جميع المزايا الانسانية والملكات الحية، وليس من اللازم ولا من المستطاع أن يكون قوياً وذكياً وجميلا وعالما وشاعراً وصانعاً وغنياً وسائساً زعيما ومفكراً مقتدى به وإماما متبعاً في مطالب الحياة كافة .

ولكن إذا اجتمع عشرون مليون فرد في قطر واحد فمن الضروري — وليس من الكمالي — أن تتوافر بينهم جميع المزايا الانسانية والملكات الحية التي تتفرق في الأفراد، وإلا كان النقص دليلا على مسخ ذريع في التركيب وعجز شائع في عناصر الطباع . ويستوي هنا أن يكون الناقص لعباً أو جداً، وفناً أو علما، وخلقا أو رأياً، فانما المهم أن الملايين العشرين يتسعون لكل مزية عرفت في بني الإنسان، وإلا كانوا ناقصين في الضروريات للأمة وإن كانت معدودة بالقياس إلى الفرد من الكماليات والنوافل

* * *

ومن الواجب « ثانيا » أن نقلع عن تقويم المطالب القومية بمقدار الحاجة إليها والاستغناء عنها، فان ذلك تقويم غير صالح وغير صحيح .

فنحن نستطيع أن نعيش بغير ملكة النظر وبغير ملكة السمع أو الكلام سبعين سنة دون أن نهلك من جراء ذلك .

ولكننا لا نستطيع أن نعيش بغير الرغيف وما إليه سبعين سنة ولا سبعين شهراً ولا سبعين يوما إلا هلكنا هلاكا لاريب فيه؛ ولم يقل أحد من أجل ذلك إن الرغيف أغلى من البصر، وإن ملكات الحس لا تستحق المبالاة كما يستحقها الطعام والشراب .

وندع تقويم الفكر إلى تقويم السوق، فانا واجدون أن الرغيف أرخص من الكتاب، وأن التمثال أغلى من الكساء، وأن الحلية أقوم من الآنية الضرورية، وأن قيمة الشيء لا تتعلق بمقدار الحاجة اليه والاستغناء عنه، بل بمقدار مانكون عليه إذا حصلناه . فنحن اذا حصلنا الرغيف فأقصى ما نبلغه في تحصيله أن نتساوى وسائر الأحياء في إشباع الجسد وصيانة الوظائف الحيوانية . ونحن اذا حصلنا الفنون الجميلة فما نحن بأحياء وحسب، ولا بأناسي وحسب، ولا بأفراد وحسب؛ بل نحن أناسي ممتازون نعيش في أمة ممتازة، تحس ما حولها وتحسن التعبير عن احساسها .

ان الضروريات توكلنا بالأدنى فالأدنى من مراتب الحياة، أما الذي يرفعنا إلى الأوج من طبقات الانسان فهو ما نسميه النوافل والكماليات، أو هو ما نستغنى عنه ونعيش!

ولكن كيف نعيش؟

هذا هو موضع السؤال الصحيح . فان كنا لا نبغي إلا أن نعيش كما تعيش الأحياء كافة فحسبنا الضروريات المزعومة إلى حين: حسبنا الخبز حتى يجيئنا من ينزع منا الخبز أيضا ونحن لا نقدر على دفاعه، ولا نطيق غير الخضوع له والصبر على بلائه .

وإن كنا نبغي أن نعيش « أكمل » العيش فلا غنى إذن عن الكماليات لبلوغ الكمال، ولا معدى إذن عن اعتبار الكماليات من ألزم الضروريات .

* * *

ومن الواجب « ثالثا » أن نذكر ماهو « العلم » الذي

يفوقنا به الغربيون قبل أن نعقد المقارنة بين العلوم والفنون .

فالغربيون لا يفوقوننا بالعلم « المصنوع » علم الطيارات والسيارات والسفن والدبابات والمناسج والمنسوجات .

كلا ! لا يفوقنا الغربيون بهذا ، فان الشرقى ليحذق صناعة الطيارة اذا رآها كما يحذقها الغربى الماهر فى عمله ، ولعله يبذه ويسبقه فى الوقت والبراعة .

إنما يفوقنا الغربيون بالعلم الملحوظ لا بالعلم المصنوع : يفوقوننا بعلم الملاحظة والابتكار والاختراع ؛ يفوقوننا بالعلم الذى يحتاج إلى عين لا تفوتها الرؤية ، وبديهة لا يفوتها الادراك ، وخيال لا يفوته تركيب الصغائر وضم الأجزاء إلى الأجزاء حتى يتألف منها المصنوع الجديد

وما هذا الذى يفوقوننا به غير ملكة الحس والتخيل التى يترجمها المصور تمثالا والموسيقى لحناً والشاعر قصيداً والمخترع صناعة حديثة ؟ ما هو غير أن نحس ما حولنا ونقرن بين إحساس وإحساس حتى نستخرج منها جميعاً صورة كاملة فى عالم العلم أو فى عالم الفن أو فى عالم التجارة ؟

فليست المقارنة بين العلم والفن مقارنة بين طيارة تنفع فى التجارة والحرب وتمثال لا ينفع لغير الزينة ، بل هى مقارنة بين ملكة مستنبط لا تتم بغيره الحياة ، وملكة مستنبط لا تتم بغيره الحياة !

وإذا فقدنا الفنون الجميلة فليس كل ما نفقده إذن هو تمثال الرخام الذى لا يصلح لغير الزينة ، بل نحن فاقدون جزءاً من حياتنا وجزءاً من العلاقة بيننا وبين الدنيا ، وعائشون عيشة الممسوخ الأبتر المحجوب عن جوانب دنياه

إن الرجل البصير يرى الحجر كما يرى الجوهرة ، ولكنه إذا عجز عن رؤية الحجر وهو أمامه فليس الحجر وحده بالمفقود فى نظره ، بل المفقود كل شىء يتراءى لعينيه

***

لقد حيينا فى خدمة غيرنا عصوراً طوالا حتى أوشكنا إذا قيل لنا : « اشعروا بالحياة » أن نطلب أجراً على حياتنا

فالرجل الذى يسأل : ما فائدة الفنون الجميلة ؟ هو كالرجل الذى يسأل : ما فائدة العين ؟ وما فائدة الأذن ؟ وما فائدة الشعور ؟ وما فائدة الحياة ؟

وإن الانسان لينظر إلى الروضة ولا يبسط يديه بعدها إلى أحد يعطيه أجراً على ما رآه ، فلماذا يحس الجمال وهو يسأل عن فائدة الاحساس ؟ ولماذا يعبر عن الجمال وهو يسأل عن فائدة التعبير ؟ ولماذا يقتنى التمثال وهو يسأل لماذا أقتنيه ؟ ولماذا يسمع الغناء وهو يسأل لماذا أصغى اليه ؟

إنه ينبغى أن يصنع ذلك لأنه يحس ، وإنه يحس لأنه يحيا فمن مَن يا ترى يريد أجراً على الحياة ! إن كان عبداً فمن سيده فليطلب أجره ، لو كان سيد يعنى بتهذيب عبيده ؛ وإن كان هو سيداً فهو مالك حياته وكفى أنه يحيا تعليلا لكل عمل وترغيباً فى كل مطالب وتقويماً لكل عزيز نفيس

***

ولقد يخطىء بعض الفلاسفة المصلحين فى تقويم الفنون فيستكثرون ما أنفقت عليها الدول والملوك والسروات من مال وفير وجهد عنيف . كذلك أخطأ تولستوى فى كتابه عن الفن الجميل وهو نفسه قد أنفق عمراً مديداً فى خدمة الفن الجميل

على أن خطأهم قريب المأخذ سهل المراجعة من ناحية الحساب ، إذ ليس القياس فى هذا الصدد أن ننظر إلى مدينة مثل « هليوود » كم تنفق من الملايين على الروايات والممثلين ! وإنما القياس أن ننظر إلى مدن العالم كم عدادها بالقياس إلى « هليوود » وحدها أو كل مدينة جرت على مجراها

وليس القياس أن ننظر إلى الموسر كم يبذل من الألوف فى تمثال واحد ، وإنما القياس أن ننظر اليه وإلى كل فرد كم ينفق على خبزه وكسائه وسكنه وراحته ، وكم ينفق على الفنون الجميلة التى يهواها من تماثيل وأغان وأشعار ؟ ومتى نظرنا هذه النظرة علمنا أن الكماليات لا تجور على الضروريات ، وأن قياس النفقات على ما يسمى بالكماليات والنفقات على ما يسمى بالضروريات أقل من قياس الآحاد إلى المئات

إلا أننا نعود فنقول إن الفنون الجميلة ضروريات فى الأمم وإن عدت نوافل فى آحاد الناس ، وإنها ضروريات لمن ينشد « العيش الأكمل » ، ولا يقنع بكل عيش ، وإنها ضروريات لمن يسأل : كيف نسود ؟ وإن كانت هباء عند من يسأل : كيف نعيش ؛ وأحرى به أن يسأل : كيف نموت ؟ فعيش هذا وموته سواء

عباس محمود العقاد

فائدة هندسية

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كيف تقيس المسافة بين نقطتين ؟ أما أنا وأنت - أو أنت وأنا، كما يقضى الأدب الحديث أن أقول - فان الواحد منا يقف ثم يروح يخطو بين النقطتين كالجندى الحديث العهد بالتدريب العسكرى، ويقول وهو يفعل ذلك: «واحد.. اثنين.. ثلاثة.. الخ» ثم يضرب عدد الخطوات فى طول كل خطوة فيكون الناتج هو المسافة التى يراد قياسها. أو يفعل شيئاً آخر: يجىء بحبل ويمده بين النقطتين ثم يعقد عقدة فى كل ناحية، ثم يجىء بمقياس كالمتر ويقيس به ما بين العقدتين، فاذا لم يكن ثم متر، فان المسافة بين أنامل يمناك - حين تمد ذراعك - والكتف اليسرى طولها متر.

ولكن لى صاحبا يعرف طريقة أخرى فى قياس المسافات المستقيمة أبرع مما نعرف، وقد حدثنى بها ووصفها لى ونحن نتغدى منذ أيام قال:

«لا علم كالهندسة... أعنى أنها علم مضبوط لا موضع للخطأ فيه»

وأنا - كما يعرف القارىء - لا علم لى بالهندسة ولا بسواها مما هو منها بسبيل، ولست أدرى إلى هذه الساعة كيف أمكن أن أجتاز الامتحانات المدرسية التى كانت تعقد لنا فى المدارس، أو فى السرادقات، وقد كان مما نمتحن فيه الهندسة - بأنواعها، فانها كثيرة - والجبر والحساب وحساب المثلثات إلى آخر هذا الذى نسيت حتى أسماءه. وأحسب أن الذين كانوا يراجعون أوراق الاجابات كانوا يقولون إن هذا المازنى سيكون أديباً كبيراً، والأدب لا يتطلب العلم بالرياضة، ومن الخير للأدب أن ندعه يخرج بشهادته وأن لا نعطله بالرسوب. فالا يكن هذا هكذا، فليقل لى من يدرى كيف أمكن أن أجتاز هذه الامتحانات فى علوم الرياضة والكيمياء أيضا والطبيعة كذلك؟ فانى أذكر - الآن - أنى كنت أملأ أوراق الاجابة عن أسئلة الرياضة وما إليها من المعارف المستحيلة بالرسوم والتصاوير: رسوم فتيات وطيور وبقر وجمال، وكنت أفرد الصفحة الأخيرة من ورقة الاجابة لأساتذتى فى علوم الرياضة، فأرسم بضعة خطوط هنا، وأكتب تحتها «المستر فلان، معلم الحساب، وخطوطا أخرى تحتها وأكتب إلى جانبها «المستر علان، مدرس الجبر وهكذا ومن يدرى؟ لعل رسمى لأساتذتى كان يرضيهم ويعجبهم، فيدعون جواب المسائل ويمنحوننى الدرجات على الرسم الجيد من الذاكرة!

وقلت لصاحبى: «ياسلام!. صحيح؟»

فقال «بالطبع... اسمع... كيف تقيس المسافة بين شاطئ النيل؟»

قلت: «أوه.. المسألة لا تحتاج إلى هندسة أو غيرها.. أمشى على كوبرى قصر النيل وأعد خطاى ثم أضرب العدد فى طول الخطوة.. مسألة بسيطة جدا»

فقال: «لا لا لا لا. افرض أنك تريد أن تقيس المسافة بين الشاطئين حيث لا كوبرى ولا شبهه»

قلت: «آه.. هذه مسألة أخرى.. أقول لك.. أركب زورقا ومعى حبل أثبته على شاطىء وأدليه فى الماء ونحن نمرق حتى نبلغ الشاطىء الآخر ثم نقيس الحبل»

قال: «يا أخى ألا تعرف أن الزورق لا يستطيع أن يمضى من شاطىء إلى شاطىء فى خط مستقيم؟»

قلت: «صحيح.. والله فاتتنى!. طيب! وما العمل؟ أما أنا فلا أرى طريقة أخرى فيحسن بالنيل أن يقنع بأن يبقى بغير قياس لعرضه.. يكفى طوله»

قال: «لا تمزح...»

قلت مقاطعا: «والله إنى أتكلم جاداً.. ثم إنى لا أدرى لماذا أتعب نفسى وأكلفها أن تقيس النيل؟»

قال: «اسمع.. أنا أعرفك الطريقة.. ألم تتعلم فى المدرسة أن ضلعى المثلث المتساوى الضلعين أكبر من الضلع الثالث أى القاعدة؟»

قلت: «جايز»

قال : « جائز ؟ ماذا تعنى ؟ هذه حقائق »

قلت : « جائز ! الحقيقة أنى تعلمت أشياء كثيرة فى المدارس ولكنى لا أذكر الآن شيئا منها فأنا مضطر أن أصدقك . . . ولكنى أخشى أن يكون غرضك أن تضحك منى ، ولهذا أؤثر الحذر وأقول لك جائز . . على كل حال تفضل »

قال : « حسن . . اسمع . . هذه حقيقة لاشك فيها . . ضلعا المثلث المتساوى الضلعين أكبر من القاعدة . . فكيف ينفعنا هذا فى قياس عرض النيل ؟ . . أنا أقول لك . . تأخذ ثلاثة أوتاد ، وثلاثة حبال ، وتذهب إلى أحد الشاطئين وتثبت فيه — على الأرض — وتدين . . تدقهما دقاً قوياً ليثبتا ولا يتزعزعا . . وتذهب إلى الشاطىء الآخر ، وتدق هناك الوتد الثالث . . هذا الوتد الثالث هو رأس المثلث . . وما بين الوتدين الآخرين على الشاطىء الآخر هو القاعدة . . فاهم ؟ ثم تصل الأوتاد بالحبال . . مسألة سهلة جداً . . ثم تقيس وتحسب فتجىء النتيجة مطابقة للحقيقة »

قلت : « غريب ! . ولكن اسمع . . ما العمل في المراكب والزوارق التى تمخر ؟ هل تؤخرها حتى تفرغ من الحساب أليست هذه مشكلة عسيرة الحل ؟ . أم لها ياترى حل هندسى أيضاً ؟ »

قال : « يا أخى لا تمزح . . لقد فعلت ذلك مرات كثيرة »

قلت : « صادق . . صادق . . والله إن هذا لذكاء ! . لو كان الذى اهتدى إلى الحقائق الهندسية يعرف أنك ستستغلها على هذا النحو العلمى المفيد . . ؟ »

قال : « لقد ورثت هذه الدقة عن أبى . . ولكنى لم أبلغ مبلغه مع الأسف . . مع التدرب آمل أن أكون مثله . . إن حسابى الآن — طبقاً لهذه الحقيقة الهندسية لا يجىء مخالفا للواقع إلا بمقدار خمسين أو على الأكثر سبعين متراً فقط . . شىء تافه كما ترى ! »

قلت : « ولكن هل من الضرورى أن يكون المثلث متساوى الضلعين أو لا أدرى ماذا تسميه ؟ »

قال : « لا . . أبداً . . ليس هذا ضروريا . . »

ثم شردت نظرته وعلا وجهه السهوم ، فتركته لخواطره ولم يلبث أن رد عينه إلى وقال :

أبى لا يكاد يخطىء . . صياد ماهر جداً . . وأغرب مافى الأمر أنه يستطيع أن يقول لك إنه أخطأ الهدف بمقدار متر أونصف متر أو سنتى . . خرجنا مرة إلى الصيد فأدهشنى بدقته وإحكامه . . أطلق البندقية على بطة ثم نظر إلىّ وقال : يافريد ! الطلق مرّ من تحتها على مسافة ثلاثة سنتيات . . ثم رمى أخرى وقال يافريد : الطلق مر من فوقها على مسافة مليمترين ؛ ورمى ثالثة وقال آه يافريد ! هذه طلقة لا مثيل لها . . شعرة فقط بينها وبين البطة ! . وهكذا يا أخى . . فهل سمعت بمثل هذه البراعة العجيبة ؟ . . مقدار شعرة فقط ، لا أكثر ولا أقل ؟ تصور الشعرة ماذا يبلغ من سمكها ؟ . ومع ذلك عرف ! استطاع أن يقدر المسافة بين الطلق والبطة على هذا البعد العظيم ما قولك ؟ . . أليس آية ؟ »

قلت : « والله شىء مدهش حقيقة . . ومن أين جاءته هذه البراعة ؟ »

قال : « العلم نور ياأخى . . ومافائدة العلم إذا كان الانسان لا يطبقه ولا ينتفع به فى حياته ؟ »

قلت : « صدقت . . ولكن هل أبوك يعرف المسافات بين الطلقات وبين الطيور التى لا يصيدها بالهندسة — أعنى بواسطة المثلث المتساوى الضلعين أو غير المتساوى الضلعين ؟ »

قال : « وهل هذا كل مافى الهندسة ؟ يظهر أنك نسيت دروسك »

قلت : « كل النسيان . . نسيتها قبل أن أحفظها »

قال : « صحيح . . هذا يحدث كثيرا »

قلت : « إنه يحدث دائما »

قال : « لا . أنا لم أنس دروسى قبل حفظها . . ولا بعد الحفظ »

قلت : « أنت أعجوبة . . وهل فى الناس اثنان مثلك ؟ »

فصار وجهه كالجمرة من شدة الحياء والخجل من سماع المدح ، وكانما أراد أن يصرفنى عن نفسه

فقال : « ولكن أبى ليست له مثل هذه الدقة حين تكون الحيوانات أليفة والطيور داجنة »

قلت : « وكيف كان ذلك ؟ »

قال : « إن نظره بعيد جداً يبصر كل شيء - أى شيء - على مسافة ميل ، ولكن إذا كان الشيء قريباً منه ، صعبت عليه الرؤية الدقيقة . . وأذكر أنه قام بيني وبينه خلاف على المسافة بين رجلي الدجاجة »

فصحت به : « إيه ؟ »

فقال : « لا تصح هكذا . . إننا فى مطعم . . فهل تريد أن يلتف حولنا الناس ؟ »

قلت : « معذرة . . لقد نسيت أن ههنا ناساً . . الحق أن كلامك استبد بعقلى . تفضل »

قال : « أشكرك . . نعم اختلفنا على المسافة بين رجلي الدجاجة . . هو يقول إنها خمسة سنتيات وأنا أقول إنها أقل بكثير . . وأخيراً اتفقنا على قياسها بالضبط والدقة ، فقال أبى هات الدجاجة ، فجئته بها . . تناولتها من رجليها فقال كيف تريد أن تقيس وقد ضممت رجليها . فتناولتها من عنقها ، فصارت تلعب وتحاول أن تفلت وتضرب برجليها فاستحال قياس ما بينهما ، ثم سكنت ولكن رجليها بقيتا مضمومتين فاتفقنا على تركها على الأرض ، وحاولنا أن نغريها بالسكون بقليل من الحب رميناه لها لتلتقطه ، ولكنها ياأخى لا تسكن أبداً . . حركة دائمة »

قلت : « لماذا لم تنتظرا حتى تنام وحينئذ يتيسر القياس كما تشاءان ؟ »

قال : « والله فكرة »

قلت : « هل تعني أن تقول إنك لم تعرف إلى الآن أيكما المصيب وأيكما المخطيء ؟ »

قال : « بالطبع أبى هو المخطيء . . ألم أقل لك إن نظره بعيد ؟ »

قلت : « آه صحيح . . »

قال : « طبعاً »

قلت : « طبعاً »

وكانت هذه نهاية الحديث فى يومنا ذاك ، فعدت إلى البيت وقيدته لئلا أنساه

ابراهيم عبد القادر المازنى

في الأدب المقارن

بيئـــات الأدباء

فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

أثر البيئة فى الانسان ومجتمعه وعلومه وفنونه من النواميس التى اهتم العلم الحديث بكشفها وتتبع مظاهرها والرجوع إليها فى شتى الدراسات . وأثر البيئة فى أدب كل أمة على إطلاقه واضح مشاهد ؛ بيد أن لكل أديب بيئة خاصة داخل البيئة العامة التى تحيط به وبغيره من أدباء أمته ، ولهذه البيئة الخاصة أثر بعيد فى تكييف عبقريته وتوجيه ميوله وصبغ نظرته إلى الحياة وتكوين فهمه للأدب ، ولهذه البيئة فى أكثر الأحايين فضل توجيه عبقريته إلى الأدب دون غيره من الفنون والحرف الانسانية

فالوراثة لها أثر فى فن الأديب ، لاشتراكها فى تكوين مزاجه وميوله ، وذلك الأثر الوراثى ملحوظ فى أدب شلى وبيرون من شعراء الانجليز ، بل فى حياتهما إذ عاش كل منهما ساخطاً قلق المقام مضطرباً بين البلدان مساجلا المجتمع حرباً لاتهدأ ، وقد كان كلاهما منحدراً من أسرة أرستقراطية عرفت صفات الجماح والتمرد فى غير واحد من أسلافها . وللوراثة أثرها الواضح فى أدب ابن الرومى الذى جاء لانتمائه إلى الروم مخالفاً أدب غيره من فحول العربية ، فى النظرة إلى الحياة والطبيعة ؛ وفى استقصاء المعانى وتوليدها

ولتكوين جسم الأديب ، بين الصحة والمرض والكمال والنقص والوسامة والدمامة أثره كذلك فى أدبه ، فالأديب السليم الجسم يكون صافى المزاج معتدل النظرة إلى الحياة ، والآخر المعتل الصحة المنهوك بالأوصاب ، كالمعرى وابن الرومى فى العربية ، وبوب وسويفت وجراى فى الانجليزية ، يكون ضيق العطن أو قاتم النظرة إلى الحياة أو كثير النقمة على معاصريه شديد الشغب معهم . وقد قيل قديماً إن للأدب ضريبة على محترفه يتقاضاه إياها من ذات جسمه أو ذات نفسه ، فلا تكاد ترى أديبا إلا محروبا أو شقيا أو معسراً ، ولعل فقدان الأديب لبعض

ما يتمتع به سواه من بهجة الحياة من دواعى إرهاف حسه وصرفه إلى التأمل وعطفه إلى الأدب ، ولعل المعرى لولا عماه وانحباسه عن متعات الدنيا على ذلك الوجه ، لما حفل بالتفكير فى الأرض والسماء وأصل الخلق ومصير الانسان وهلم جرا

وللتربية والنشأة المنزلية أثرهما فى تكوين الأديب ، فكثيراً ما تتجه عبقرية الناشىء إلى الأدب لأن أباه أو كافله مشتغل بالأدب ، وقد كان ذلك شائعاً بين العرب ، إذ كان الآباء يقومون بتاديب أبنائهم ، فنشأ كثير من الأدباء كالصاحب وابن العميد وابن المعتز وابن زيدون فى بيوت فضل وأدب . وقال ياقوت فى ترجمة المعرى : « وكان فى آبائه وأعمامه ، ومن تقدمه من أهله وتاخر عنه من ولد أبيه ونسله ، فضل ، وقضاة وشعراء ، أنا ذاكر منهم من حضرنى لتعلم نسبه فى العلم » . ولحظ البيئة المنزلية من الرقى أو الحطة أثره كذلك فى أخلاق الناشىء ومنازعه ، ومن ثم يتسم أدب الشريف الرضى فى العربية وتنيسون فى الانجليزية بنزعة التسامى والتدين ، لانتمائهما إلى أرومة شريفة دينية ، بينما تبدو لوثة العامية والتبذل فى أشعار بشار وأبى نواس

ولنصيب الأديب من الغنى أو الفقر أثر بعيد فى حياته وعقليته وأدبه ، فلا بد للأديب من حظ من المال يستطيع معه أن يتفرغ إلى فنه أو يتفنن فى ابتكاره ، أما إذا كان لا يكسب رزقه إلا بجهد جهيد فهيهات أن يوفى الأدب حقه . والأديب المعسر المخفق كابن الرومى لا ينفك شاكيا فى شعره متحرقا ؛ ولا يشكو هذه الشكوى أديب نشأ فى بيت نعمة كابن المعتز أو نجح فى إدراك الغنى كالبحترى ، فشعر هذين أكثر امتلاء بوصف اللذات وأوقات الصفاء . وقد وجد ابن الرومى على البحترى وهجاه حسداً وغيظا ، فرد عليه البحترى رداً هادئاً وأتحفه بهدية ، فعل المطمئن إلى نفسه الراضى فى بحبوحته ، ولم يطلب الطغرائى شططاً حين قال

أريد بسطة كف استعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلى

ولنوع الثقافة التى يتلقاها الناشىء ، والأدب الذى يقرأ ، والأستاذ الذى يأخذ عنه ، والأديب الذى يقدمه ويشغف بآثاره ، والأدب الأجنبى الذى يدرسه ، لكل ذلك أثره فى توجيه أدبه وفلسفته فى الحياة . فآراء المتزندقة التى فشت فى صدر العصر العباسى ظاهرة الأثر فى شعر بشار وحماد وأبى نواس ، والآراء الفلسفية التى ذاعت بعد ذلك ظاهرة فى أشعار الطائى والمعرى والمتنبى ؛ ولم يتأثر أدباء العربية بادب أجنبى تأثراً ذا بال ، أما أدباء الانجليزية ففضلا عن اغترافهم جميعاً من مناهل الأدب اليونانى ، كان منهم من تاثر بالأدب الايطالى كسبنسر ، وبالألمانى كشلى وسكوت وكارليل ، وبالفرنسى ككثير من كتاب القرن الثامن عشر وشعراء القرن السابع عشر ؛ وكما أثر مذهب أبى تمام الشعرى فى تلميذه البحترى وفى المتنبى وغيرهما ، كان للمتون أثر بعيد فى كثير من شعراء الانجليز منهم وردزورث وتنيسون

وللجيل الأديب ، بسياسته وأدبه وأخلاقه وأزيائه وفنونه ، أعظم أثر فى أدبه : فبعض الأدباء ينحاز إلى حزب سياسى ويخصص جانباً من كتاباته للدفاع عنه ، كما كان الكميت ودعبل وعمارة اليمنى شيعيين ينتصرون لآل البيت ؛ وكما كان بشار عقيلياً بالولاء ينتصر لمضر ويفخر بغضبتها التى تهتك حجاب الشمس ؛ وكما كان ابن الرومى علويا بالولاء أيضا . وكان أدباء الانجليزية أكثر اتصالا بشؤون المجتمع والسياسة وتأثراً بها ، فعرضوا لمشاكل عصورهم فى أشعارهم وقصصهم ، وحين ملأ دكنز قصصه بوصف أحوال الطبقات العاملة ، إنما كان متأثراً بأحوال عصره الصناعى ، وإذا امتلأ شعر المتنبى بذكر القنا والصوارم والفتكة البكر وتضريب أعناق الملوك ، فانما كان ذلك صدى عصر التناحر والقلاقل الذى عاش فيه

وتؤثر حرفة الأديب كذلك فى أدبه ، موضوعه ولغته وتشبيهاته : فالأديب الجندى كعنترة وأبى فراس لا يكاد يخوض فى غير حديث النجدة والعزة والبأس وإطاحة الرؤوس عن الأجسام ؛ والأدباء الوزراء الذين عرفوا فى الدول الاسلامية تتعلق خير كتاباتهم بالسياسة والولاية والعزل وهلم جرا ؛ والشاعر المداح كالبحترى لا ينفك عن ذكر أحوال الملك ومظاهر أبهته ؛ وتوماس هاردى الذى كان مهندساً معمارياً مشغوفا بفن العمارة لا يزال يبدىء ويعيد فى وصف العمائر والصروح فى شعره وقصصه ، ويستخدم فى ذلك من المصطلحات العلمية مالا يكاد يفقهه إلا خبير مثله بتلك الشؤون ؛ أما الأديب المنقطع إلى الأدب فلا يكاد يخوض فى غير شؤون الأدب وسير الأدباء . وقد أورد الجاحظ هذه الحقائق مورد الفكاهة فى رسالة صناعات القواد ، إذ جعل الطبيب والخياط والخباز والمؤدب وصاحب الحمام وغيرهم ، يتحدثون فى الأدب وينظمون الشعر فيستخدم كل منهم مصطلحات حرفته فى استعاراته وتشبيهاته

وللاقليم الذى يختاره الأديب مستقرا ومقاما ، والأقاليم التى يرحل اليها فى أدوار حياته ، أثر عظيم فى موضوعاته وأسلوبه : إذ هو يشتق أسباب القول مما يحيط به فى حله وترحاله ، ولا ريب

أن الأديب الكثير الرحلة يكون أوسع أفقا وأغزر مادة وأعمق فكرة من الأديب القاعد ، إذ كان من يعيش يرى ومن يسير يرى أكثر كما يقول المثل العامى . وقد كان وردزورث يقطن مقاطعة البحيرات فى انجلترا وكان كثير التجوال بين الجبال والروابى ، فجاء لفظه مجردا عاريا عرى الصخور وتجردها ، وكثرت فيه ألفاظ الوحشة والوحدة وهلم جرا . ونشأ كبلنج فى الهند فامتلأ شعره وقصصه بوصف غياضها وأدغالها ، وحفل بالتعصب الجنسى المتطرف ؛ وتركت رحلات المتنبى بعض الآثار فى أشعاره ، من وصف الطبيعة كوصف بحيرة طبرية وشعب بوان ، إلى وصف الأحوال السياسية فى مثل قوله :

بكل أرض وطئتها أمم ترعى بعبد كأنها غنم

فإلى البيئة التى ينشأ فيها الأديب وتضطرب فى محيطها حياته ، مرد مايمتاز به أدبه من اتجاه خاص وطرق موضوعات دون غيرها ، وتناول لها على نحو خاص ، وما يتصف به من سمو أوضعة ، وورع أو استهتار ، وفكاهة أو انقباض ، وتفاؤل أو تشاؤم ، وعمق أو سطحية ، يختلف حظه من كل ذلك عن حظوظ أبناء أمته بل أبناء جيله بل أصحابه وخلفائه ؛ وبسبب عوامل البيئة تلك يختلف عنترة وعمر بن أبى ربيعة والشريف الرضى والمتنبى فى العربية فى الموضوع والنزعة واللفظ والاسلوب ، كما يختلف وردزورث وبيرون وسكوت وشلى فى الانجليزية ، حتى يستغث الثانى شعر الأول أى استغثاث ، ويجمل الثانى رأيه فى الأخير فى قوله : ذلك الملحد شلى ! وما ذاك إلا لاختلاف ما يحمل رأس كل منهم من آثار الوراثة والثقافة والعقيدة والتربية والنشأة ، على تعاصرهم وتشاركهم فى وجوه أخرى ، وعلى كونهم يعدون اليوم أبناء مدرسة واحدة .

على أن اختلاف بيئات الأدباء أشد ظهورا فى الانجليزية منه فى العربية ، لأن أدباء الانجليزية أكثر اضطرابا فى المجتمع وإدخالا له فى أدبهم وأكثر ارتحالا فى البلدان وذهابا فى آفاق الفكر وإعرابا عن أفكارهم الصميمة وآثار تجاربهم ، ولأن المجتمع الانجليزى تغير وتجدد على توالى العصور من عهد اليزابث إلى الوقت الحاضر مالم يتغيره المجتمع الاسلامى ، والثقافة الانجليزية تطورت بتقدم العلوم مالم تتطوره الثقافة العربية ، فالمحافظة كانت اغلب على المجتمع والفكر العربيين ، وهى أيضا كانت سمة الأدب العربى وديدن أدباء العربية ، ومن ثم تشابهوا كثيرا فى الموضوعات والأساليب على تباعد المواطن والعصور .

فأدباء العربية بعد قيام الدولة الاسلامية ودخول الأدب طوره الفنى الراقى ، كانوا يأخذون أنفسهم بضروب من القول يطلبون بها البراعة الفنية أو الشهرة أو الحظوة والنجاح ، كالتمدح بجليل الصفات والتفاخر بتالد المجد ومدح الأمراء ، وجروا فى ذلك على سنن مألوفة واغترفوا من مناهل مطروقة ، حتى تشابه أولهم وأخيرهم وبعيدهم وقريبهم . فاذا قرأت مئات القصائد التى نظمها مروان بن أبى حفصة وبشار وأبو تمام والبحترى وغيرهم فى مدح الخلفاء ، كى ترى أثر البيئة الخاصة للشاعر فى كل ذلك فلن تظفر بطائل ، لأنهم إنما نظموها لأغراض مادية وعلى أنماط مأثورة ، لادخل للنفس ولا لتراثها الفكرى فيها . وإذا قرأت قول أبى نواس :

ومستعبد إخوانه بثرائه	لبست له كبراً أبر على الكبر
لقد زادنى تيها على الناس أننى	أرانى أغناهم وإن كنت ذا فقر
فوالله لايبدى لسانى حاجة	إلى أحد حتى أغيب فى القبر
فلا يطمعن فى ذاك منى سوقة	ولاملك الدنيا المحجب فى القصر

كدت تحسب قائل هذا الشعر شريفا حسيباً عفيفا ، يزهد فى غرور الدنيا ويقنع بالقليل استمساكا بالأنفة والكبرياء ، ولم تعز هذا الفخر المغرق إلى ذلك المداح السآل الذى أنفق العمر فى اجتداء عطايا الحكام ليبذرها فى انتهاب اللذات الجسدية ، وماذاك إلا أن أبا نواس اقتفى فى نظم هذا الشعر الطنان أثر أشراف الجاهلية الذين كانوا يتمدحون بالأنفة ، وأراد أن يظهر أنه لايقصر عن شأوهم فى ذلك الباب من أبواب القول . والأدب العربى حافل بهذا الضرب من الإنشاء التقليدى الذى لا أثر فيه يذكر للشخصية المستقلة والبيئة الخاصة

هذا ، ونشأة كثير من أدباء العربية مجهولة ، وبيئتهم الأولى غامضة ، وأكثرهم لا يظهرون فى ضوء تاريخ الأدب إلا حين يصلون إلى ذرا الأمير ، وقد كان ذلك الوصول غاية أكثرهم ؛ ومن ثم نرى فى تاريخ الأدب العربى بيئتين كبيرتين تتلو إحداهما الاخرى وتشملان أكثر أعلام الأدب العربى : الأولى بيئة القتال التى كانت بيئة الجاهلية ، وكان الجلاد فيها هم الأشراف ، والتمدح بالبلاء فى الوغى هم الشعراء ، وكان الأشراف فى كثير من الأحوال هم الشعراء وهم الخطباء الفحول ، يشفعون بلاءهم فى الهيجاء ببلاغتهم فى القصيد والارتجال ؛ والبيئة الثانية بيئة البلاط التى اضطرب فى محيطها أكثر الشعراء والكتاب بعد الاسلام وقيام الدولة ، وتأثروا بها ونظموا فيها ونثروا

فبيئات أدباء العربية المادية والذهنية كانت كثيرة التشابه من

وجوه ، والبيئات الأولى التي شب فيها كثير منهم مبهمة غامضة ، وقد كان نقاد العربية قليلي العناية بأمر البيئة وأثرها في تكوين الأديب ، إنما كانوا يعرضون لبعض التواريخ الجافة المتعلقة بمولد الأديب ووفاته ورحلته إلى بعض العواصم واتصاله ببعض الحكام ، ويستحسنون بعض ما أنشأ أو يستهجنونه ، ويفضلونه أو يفضلون عليه ما قال أديب غيره في نفس الباب ؛ ولهم في ذلك بعض العذر ، إذ كانت للقول كما تقدم أوضاع وأنماط معروفة ، يأخذ الأديب بها نفسه ما استطاع ، ويحاكي الاقدمين فيها ما أمكنته براعته . أما بيئته الخاصة وتراثه الذهني والنفسي ، فيذره جانبا وقلما يدخله في أدبه

ولا يرد ذكر البيئة وأثرها في كتب النقد العربي إلا عرضا ، كالذي ورد من أن ابن الرومي سئل لم لا يشبه كتشبيهات ابن المعتز ، فقال لسائله : أنشدني شيئا من قوله الذي استعجزتني عن مثله ، فانشده بعض أشعار ابن المعتز التي يشبه فيها النجوم والزهور بالفضة والعنبر ومداهن الغالية وهلم جرا ، فصاح ابن الرومي : واغوثاه ! لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ! ذاك إنما يصف ماعون بيته ، وأنا أي شيء أصف ؟ ووضع الجاحظ رسالته سالفة الذكر على لسان أرباب المهن ، فأجرى القول فيها مجرى الدعابة والمغالاة ، وكان أولى لو عرض للأمر من ناحيته الجدية . واستعرض بديع الزمان في بعض مقاماته عدداً من فحول الشعراء المتقدمين ، فقال إن أحدهم أشعر الناس إذا غضب ، والآخر أشعرهم إذا رهب ، والثالث إذا شرب وهلم جرا ، فلم ير إلا أن هذه جبلتهم التي فطروا عليها ، ولم يتخيل لبيئة كل منهم في ذلك أثراً

أما في الأدب الانجليزي ، ولاسيما في العصر الحديث ، فدرس أثر البيئة وعواملها من وراثة وتربية وثقافة وعقيدة ، أساس كل دراسة أدبية وكل نقد وترجمة ، والوسيلة الأولى لفهم الأديب وقدر آثاره حق قدرها ، وما ذاك إلا نتيجة ارتقاء العلوم والاجتماعيات في العصور الحديثة ، واستفادة الادب الانجليزي بمجهودات أدباء الأمم الأخرى ، كادباء الايطالية الذين ارتقوا بعلم تاريخ الادب ، وأدباء الفرنسية الذين هذبوا أصول النقد ، وقد درس الأدب الانجليزي وترجم أدباؤه على ضوء هذه القواعد والأصول ، فبلغ من الوضوح والترتيب مالم يبلغه تاريخ الادب العربي بعد

فخري ابو السعود

بمناسبة ذكرى المولد

للأستاذ علي الطنطاوي

احتفل العالم الاسلامي كله أول أمس — بذكرى مولد سيد العالم وخاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الاحتفال يعد فرصة سانحة من فرص الدعوة إلى الاسلام ، والسعي في سبيل الاصلاح ، تفيدنا فائدة كبيرة إذا نحن عرفنا طريق الاستفادة منها ولم نجعلها قاصرة على إقامة السرادقات الفخمة ، وإيقاد آلاف من المصابيح الكهربائية ، وإطلاق البارود في الجو ، والاجتماع على ترتيل قصة المولد والتطريب فيها ، وتلاوة الأغاني والأناشيد ، وأكل الحلويات والأنقال ، والتسلي واللهو والطرب ، وإضاعة الأموال بلا حساب

وطريق الاستفادة منها ، أن يبحث الخاصة من رجال وأولياء الأمر ، في مجالسهم واحتفالاتهم أدواء المسلمين اليوم ، ويصوروها ويفتشوا عن أدويتها ، وأن يضعوا خططاً جديدة للدعوة ، ومناهج للعمل المثمر ، وأن تشرح السيرة النبوية للعامة في مجامعهم واحتفالاتهم ، وينبهوا إلى مواطن العبرة فيها ، لأن ذلك هو المراد من الاحتفال بالمولد ، لاسرد الأخبار الموضوعة . والعجائب والخرافات ، واللهو والطرب ، وأن تبين لهم مزايا الاسلام وفوائده ، وأصوله ومبادئه ، لأن الكثيرين من المسلمين لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه ، ولا يفرقون بين طبيعة الاسلام وطبائع الأديان الأخرى ، ولا يعلمون أن الأديان كلها أديان فقط ، بمعنى أنها جاءت بعقائد وعبادات وأخلاق ، أما الاسلام فهو دين ، وهو تشريع ، وهو سياسة ، وهو أدب . وانظر في أي مسألة من مسائل الفكر الكبرى ، أو أي أمر من أمور الحياة ، تر للإسلام رأيا فيه وحكما ، فالتشريع الاسلامي أغزر أو من أغزر وأصفى المنابع التشريعية في العالم . والاسلام قد أقر الحرية الفكرية ، ووضع أصول البحث العلمي ، بما أمر به

من دراسة الكون ، والنظر في ملكوت السموات والأرض ، والاسلام قد وضع أسس السياسة العامة ، والشرع الدولى ، والاسلام وحده هو الذى يحل المشكلة الاجتماعية والاقتصادية الكبرى ، وينقذ الانسانية من استبداد المتمولين ، وجحود الفرديين ، ومن خيالات الاشتراكيين ، وبلاء الشيوعيين ، بما جاء به من قواعد حكيمة عادلة للزكاة والمساواة ونظام الحكم . وللاسلام بعد ذلك كله حكمه فى كل عمل من أعمال الانسان ، فلا يخلو عمل على الاطلاق من أن يكون له حكم فى الدين وللدين دخل فيه ، فيكون مباحاً أو مندوبا أو واجبا أو مكروها أو حراما ، ولا يستطيع المسلم أن ينسى الاسلام لحظة أو يمشى بدونه خطوة .

ثم إن هذه الأحكام كلها مساوقة للعقل — موافقة له — سائرة مع العلم . والاسلام يقدر العقل حق قدره ، ويجعله الموجب الأول ، ويربط المسئولية والتكليف به ، ويخاطبه دائما ويعتمد عليه ولا يخالفه أبداً . ولم يستطع أحد إلى اليوم ولن يستطيع فى الغد أن يجد قضية شرعية قطعية ، تناقض قضية عقلية قطعية ، فلا يثبت الشرع محالا فى العقل (١) ولا يحيل ثابتا ، ولا يخالف أصلا من الأصول الثابتة فى العلم . وأعنى بالأصول الثابتة الحقائق والقوانين العلمية ، لا الفروض والنظريات (٢) وأيسر نظرة يلقيها العاقل البصير على كتب الدين ، وأقل إلمامة بعلومه ، تثبت هذا الذى ذكرنا .

***

فإذا كان هذا هو الاسلام ، وهذه منزلته من العلم والمدنية فلماذا ينصرف عنه أكثر الشباب ؟ إنهم منصرفون عنه لأنهم لا يعرفونه . ومن أين يعرفون وهم لا يدرسون منه فى المدارس إلا شيئا تافهاً لا يحل حلالا ولا يحرم حراما ، ثم إنهم لا يجعلونه ولا يحلونه إلا دون الدروس كلها . وسبب ذلك أن الطلاب إنما يقرءون ويجدون ابتغاء النجاح فى الامتحان والدين لا يدخل فى امتحان رسمى أبداً ، لا فى الشام ولا مصر ولا العراق . وهذه مناهج الكفاءة وما دونها ، والبكالوريا وما فوقها ، فيها كل علم إلا علوم الدين . وليس الغرض من حذفها والمانع من اثباتها وجود طلاب غير مسلمين فى هذه الامتحانات ، فإن ذلك يمكن تلافيه ، بأن يمتحن كل طالب فى دينه ، وتدعى كل أمة إلى كتابها ، ولكن ذلك شىء تعمده الأجانب يوم كانت سياسة البلاد وإدارتها ومناهجها فى أيديهم وكان أمضى سلاح حاربونا به فى ديننا وأبنائنا ، فكيف نبقى عليه وقد انتقلت سياسة البلاد ومناهجها إلى أيد وطنية يريد أصحابها الخير لبلادهم والصلاح ؟

ثم إن هؤلاء الطلاب إذا خرجوا من المدرسة ، وبقى فريق منهم على شىء من التدين وأحبوا أن يطالعوا علوم الاسلام ، لم يجدوا كتابا سهلا جامعاً بين دفتيه خلاصة ما يجب على الشاب المسلم أن يعرف من أصول الدين وفروعه ، وإنما يجدون كتبا فى علم الكلام مشحونة بالمجادلات الجوفاء ، والرد على ملل قد بادت ونحل قد نسيت منذ مئات السنين ، وعرض شبهها وضلالاتها ؛ وكتبا فى الأصول معقدة غامضة ، لا يفهم الشاب شيئا منها ، وكتبا فى الفقه مملوءة بالمناقشات اللفظية ، والفروض البعيدة والاحتمالات الغريبة ، لا تكاد تخلو من اختصار مخل أو تطويل ممل ، وكتبا فى التفسير مطولة ومختصرة فيها كل شىء من نحو وصرف ولغة وبلاغة وتاريخ وفلسفة وإسرائيليات ولكن ليس فيها تفسير واحد يرضى الشاب وينفعه ويجد فيه المراد من الآية ويعينه على التدبر الذى أمر الله به ، وكتبا فى الحديث مرتبة على غير حاجة العصر مبوبة بحسب أبواب الفقه أو أسماء الرواة ، ينصدع رأس الشاب ويفنى صبره قبل أن يصل إلى حديث واحد يفتش عنه ويطلبه ، ورسائل فى علم المصطلح غامضة فيها تعقيد ، وقل مثل ذلك فى سائر العلوم ... وهذه الكتب مؤلفة على طريقة لا تخلو من غرابة وشذوذ ، فالكتاب الواحد متن وشرح للمتن ، ومختصر للشرح ، وشرح للمختصر ، وحاشية على شرح المتن ، وتقرير على حاشية الشرح ... ... ولست أفهم لماذا ارتقت أساليب الكتابة فى كافة العلوم وأخذت شكلا جديداً ، ولماذا يؤلف اليوم الكتاب فى الأدب على غير ما كان يؤلف عليه قبل خمسين سنة ولا تزال هذه الكتب على ما كانت عليه منذ مئات السنين لم تصل إليها موجة الحياة ؟ ولماذا نجد ذ علماء كل فرع مؤلفين

(١) كاستحالة كون الثلاثة واحدا (٢) كنظرية لابلاس فى أصل الأرض وداروين فى أصل الانسان

مجددين ولا نكاد نجد فى علماء الدين إلا مقلدين مرددين ؟

فماذا يصنع الشاب الذى لم يدرس الاسلام فى مدرسة ولم يفهم كتبه ؟ أيسأل المشايخ ؟ إنه إن فعل لم يجد أكثرهم إلا مجلدات تمشى ، ليس فى ثيابهم وتحت عمائمهم إلا أوراق الكتاب ، فهم يسردون عليك ما حفظوا كأنهم يتناولونه من مستودعات أدمغتهم باليد ؛ ومن كان منهم ذا فكر جوال ، وعقل باحث كان فى كثير من الأحيان ضعيفاً فى مادته العلمية ، فهو يخالف الأولين والآخرين ، ويتنكب سبيل الدين . وقليل منهم من جمع إلى العلم ، سرعة الفهم ، وفهم روح العصر ، وحسن مخاطبة الناس . ثم أكثر هؤلاء المشايخ بعيدون عن الأدب ليس لهم فى صناعة البيان يد ، قلّ أن ترى فيهم من يعد كاتبا مجيداً ، أو لسناً مفوهاً . على أننا بعد هذا كله نخشى أن ينقرض هؤلاء المشايخ ولا نجد لهم خلفاً ؛ وعلى أنى لا أحملهم الذنب وحدهم ، فالذنب على المسلمين كلهم وليس فى الاسلام (رجال دين) مسئولون عنه ، وقائمون به ، ووكلاء عليه ، ولكن رجال الدين عندنا هم كافة أهله وأتباعه ، لا فرق فى ذلك بين شيخ الاسلام ، وآخر مسلم فى أفريقيا الوسطى ، أو القطب الشمالى . ولو أن أكبر شيخ فى حلقته ، أو خطيب على منبره ، أخطأ فى حكم ، أو حرف آية ، لرد عليه من يحفظ الآية ، ويعرف الحكم ولو كان طفلا صغيراً ، أو امرأة ... وما هذه المرأة بأقل من تلك العجوز ، ولا هذا الخطيب بأجل من عمر ؟

***

ثم إن الشبان المسلمين كلهم يذكرون الإعجاز ويعتقدون به ، ولكن من منهم يعرف أوجه الإعجاز على حقيقتها . وإذا أراد أن يفهمها فنى أى كتاب يجدها ؟ بل من منهم يفهم القرآن فهما صحيحاً يتجاوز التفسير العادى ؟ بل كم من الناس يعرفون تفسيره العادى ، وكم منهم يسمعه ليعتبر ويتدبر ؟ ألا يسمع أكثر المسلمين القرآن ليطربوا بنغماته وأصوات تلاوته ؟

وكلنا يعتقد بأن الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، ولكن أى دولة بل أى جمعية إسلامية حاولت أن تستخلص من كتب الفقه ونظريات الفقهاء قانونا مدنياً ينطبق على عصرنا الحاضر ؛ ويكون تتمة العمل الكبير الذى بدىء بوضع (مجلة الأحكام الشرعية) وفى الفقه متسع لهذا العمل ، وفى إنجازه إنقاذ البلاد الاسلامية من الحكم بغير ما أنزل الله ، والتعرض لما ورد فى ذلك من الوعيد الشديد ، فضلا عما فيه من المس بالكرامة الوطنية ، والسيادة القومية ؟

ومن حاول أن يؤلف فى بيان رأى الاسلام فى الاشتراكية وموقفه منها ، وحكمه فى الديمقراطية وأساليب الحكم المعروفة ؟

أليس اغتنام فرصة ذكرى المولد الشريف للبحث فى هذا وشبهه جزءاً من هذه الحفلات التى لا معنى لها ، والمظاهر التى لا طائل تحتها ؟

***

وإنى لأرجو من الله — لما أرى من انصراف مصر علمائها وأدبائها وشبابها المثقف إلى الاسلام وإقبالها عليه — أن يكون يوم ذكرى المولد من هذا العام ، فاتحة عهد جديد فى تاريخ الاسلام ، كما كان يوم المولد الشريف ، فاتحة عهد جديد فى تاريخ العالم .

(بغداد) **على الطنطاوى**

خاتمة المأساة الأندلسية :

الصراع الاخــير

بين الموريسكيين واسبانيا

للاستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

حدث أثناء المفاوضات التى جرت فى مونترو بين مصر والدول لالغاء الامتيازات الأجنبية أن تقدم الوفد الاسبانى بطلب يختص باليهود « السفرديم » المقيمين بمصر ، هو أن يعاملوا كالرعايا الاسبانيين وأن يمنحوا مزية التقاضى أمام المحاكم المختلطة أثناء فترة الانتقال ، وشرح أحد أعضاء الوفد بواعث هذا الطلب لممثلى الصحف ، فقال : إن هؤلاء اليهود « السفرديم » هم من ذرية اليهود الاسبانيين الذين طاردتهم مجالس التحقيق « محاكم التفتيش » فى القرن السادس عشر وشردتهم عن وطنهم فى مختلف البلاد ، وأن اسبانيا الجمهورية التى تحررت من نزعات التحامل والتعصب تريد أن تقدم ترضية لسلالة هذه الطائفة التى نكبت فى عصور الظلم والتعصب والطغيان .

وهذه الملاحظة تثير الشجن . ذلك أن اسبانيا النصرانية تعترف بعد أربعة قرون بزلتها التاريخية الكبرى ، وتلعن مع التاريخ ذكرى ديوان التحقيق . بيد أن هذا الاعتراف ليس إلا لمحة بسيطة من الحقيقة المروعة ؛ ذلك ان اسبانيا النصرانية ماكادت تظفر بتحقيق سياستها الوطنية القديمة فى سحق اسبانيا المسلمة والاستيلاء على تراثها كله والظفر بغرناطة آخر معاقلها ، حتى وضعت برنامجها الشائن لمحو تراث الأندلس ، وسحق الاسلام وكل ذكرياته وآثاره ، وإبادة هذه البقية الباقية من سلالة المسلمين والعرب الذين لبثوا سادة فى الجزيرة زهاء ثمانية قرون ؛ وكان اليهود الذين عاشوا وازدهروا فى ظل الدولة الاسلامية ، كالمسلمين ضحايا هذه السياسة البربرية ؛ وكانت محاكم التحقيق تنشط لمطاردة الضحايا ، وكانت محارقها تسطع فى مختلف القواعد الأندلسية القديمة حتى قبل سقوط غرناطة ؛ وكان سقوط غرناطة فى فاتحة سنة ١٤٩٢م نذير المأساة المروعة التى لم تستطع اسبانيا النصرانية فى حمى الظفر وغلوائه أن تقدر عواقبها المخربة ؛ وكان المسلمون المغلوبون قد أخذوا على الظافرين قبل التسليم كل ما يستطيع أن يأخذه الضعيف على القوى من العهود النظرية ، لتأمين النفس والمال والعرض ، والدين والتراث القومى ؛ ولكن هذه العهود التى لا سند لها إلا إرادة الظافر ، لم تكن شيئاً مذكورا فى نظر اسبانيا النصرانية ؛ فلم تمض سوى أعوام قلائل ، حتى كشفت اسبانيا النصرانية عن سياستها ونياتها الحقيقية فسحقت العهود المقطوعة وأرغمت المسلمين على التنصر ، ولم تدخر وسيلة من الوسائل البربرية ، من سجن وحرق وتشريد وتعذيب إلا استعملتها لتحقيق هذه الغاية ، وسطعت محارق ديوان التحقيق فى غرناطة كما سطعت من قبل فى غيرها من قواعد الأندلس لتلتهم المخالفين والمارقين ، وغدا أبناء قريش ومضر نصارى يشهدون القداس فى الكنائس ويتحدثون القشتالية ، واختفت آثار الاسلام والعربية بسرعة ، واستحال الشعب الأندلسى إلى مجتمع جديد هو مجتمع الموريسكيين أو العرب المتنصرين

ولقد كان استشهاد الموريسكيين من أروع مآسى التاريخ ، وكان هذا الشعب المهيض الذى أدخل قسرا فى حظيرة النصرانية ، والذى أنكرته مع ذلك إسبانيا سيدته الجديدة وأنكرته الكنيسة التى عملت على تنصيره ، يحاول أن يروض نفسه على حياته الجديدة ، وأن يتقبل مصيره المنكود بإباء وجلد ؛ ولكن إسبانيا النصرانية كانت ترى فى هذه البقية الباقية من الشعب الأندلسى المجيد عدوها القديم الخالد ، وتتصور أن هذا المجتمع المهيض الأعزل ، الذى أحكمت أغلالها فى عنقه مصدر خطر دائم على سلامها وطمأنينتها ، وتشتد فى مطاردته وإرهاقه بمختلف الفروض والقوانين والمغارم ، وتمعن فى انتهاك عواطفه وحرماته وفى تعذيبه وتشريده ، وتنكر عليه أبسط الحقوق الانسانية ؛ وكانت محاكم التحقيق تحمل هذه الرسالة الدموية المخربة ، وتعمل على تنفيذها بوحشية لم يسمع بها ؛ واستطالت هذه الوندالية منذ

سقوط غرناطة أكثر من قرن . بيد أن الموريسكيين يحملهم اليأس العميق ، وغريزة الدفاع عن النفس ولمحة باقية من عزم النضال القديم ، لم يخلدوا إلى هذا الاستشهاد المؤسى ، دون تذمر ، ودون انتقاض ، فقد ثاروا غير مرة على الطغاة والجلادين ، وحاولوا مقاومة هذه السياسة الوندالية والخروج على فروضها ؛ ولكن يد الطغيان القوية مزقتهم وسحقتهم بلا رأفة ، وتركتهم أشلاء دامية

وكانت أعظم ثورة قام بها الموريسكيون فى وجه اسبانيا النصرانية سنه ١٥٦٩ م . أعنى بعد سقوط غرناطة بثمانية وسبعين عاماً ؛ وكان التنصر قد عم الموريسكيين يومئذ وغاضت منهم كل مظاهر الاسلام ؛ ولكن قبساً دفيناً من دين الآباء والأجداد كان لا يزال يجثم فى قرارة هذه النفوس الأبية الكليمة ؛ ولم تنجح اسبانيا النصرانية بسياستها البربرية فى اكتساب شيء من ولائها المغصوب ، وكان الموريسكيون يحتشدون فى جماعات كبيرة وصغيرة فى بسائط غرناطة وفى منطقة البشرات الجبلية تتوسطها الحاميات والكنائس ، لتسهر الأولى على حركاتهم ، وتسهر الثانية على إيمانهم وضمائرهم ، وكانوا يشتغلون بالأخص بالزراعة والتجارة ، ولهم صلات تجارية وثيقة بثغور المغرب

وكانت بقية من التقاليد والمظاهر القومية لازالت تربط هذا الشعب الذى زادته المحنة والخطوب اتحادا وتعلقاً بتراثه القومى والروحى ؛ وكانت الكنيسة تحيط هذا الشعب العاق الذى لم تنجح تعاليمها فى النفاذ إلى أعماق نفسه بكثير من البغضاء والحقد ؛ فلما تولى فيليب الثانى الملك ألفت فرصتها فى اذكاء عوامل الاضطهاد والتعصب . وكان هذا الملك المتعصب حبرا فى أعماق نفسه ، يخضع لوحى الأحبار والكنيسة ، ففى سنة ١٥٦٣ ظهرت بوادر السياسة الجديدة إذ صدر قانون جديد يحرم حمل السلاح على الموريسكيين إلا بترخيص من الحاكم العام ؛ فأثار صدوره سخط الموريكسيين ؛ بيد أنه كان مقدمة لقانون بربرى جديد أعلن فى غرناطة فى يناير سنة ١٥٦٧ وهو الشهر الذى سقطت فيه غرناطة ، واتخذته اسبانيا عيداً قومياً تحتفل به كل عام وكان القانون الجديد يرمى إلى القضاء على آخر المظاهر والتقاليد التى تربط الموريسكيين بماضيهم وتراثهم القومى ، فحرم عليهم أن يتكلموا العربية أو يتعاملوا بها ، وأن لا يستعملوا سوى القشتالية فى التخاطب والتعامل وذلك فى ظرف ثلاثة أشهر من صدور القانون ، وألا يتخذوا أسماء عربية ، أو يرتدوا الثياب العربية ، وحظر التحجب على النساء وألزمن بارتداء الثياب الأوربية المكشوفة وذلك فى ظرف عام ، وأن تبقى بيوتهم مفتوحة أثناء حفلات الزواج وغيرها ليستطيع القسس ورجال السلطة أن يروا ما يقع بداخلها من المظاهر والمراسيم المحرمة ، وألا ينشدوا الأغانى العربية أو يزاولوا الرقص العربى ، وفرضت للمخالفين عقوبات فادحة تختلف من السجن إلى النفى والاعدام

أعلن هذا القانون فى غرناطة فى ميدان باب البنود أعظم ميادينها القديمة فى يناير سنة ١٥٦٧ ؛ ونستطيع أن نتصور وقعه لدى الموريسكيين فقد فاضت قلوبهم سخطاً وأسى ويأساً ، وحاولوا أن يسعوا بالضراعة والحسنى لالغائه أو على الأقل لتخفيف وطأته ، فاجتمع أعيانهم وقرروا التظلم للعرش ، وحمل رسالتهم إلى فيليب الثانى وإلى وزيره الطاغية اسبنوسا ، سيد إسبانى نبيل من أعيان غرناطة يدعى الدون خوان هنريكس ، وقد كان يعطف على هذا الشعب المنكود ويرى خطر السياسة التى اتبعت لابادته ؛ ولكن وساطة ذهبت عبثا وحملت سياسه العنف والتعصب كل شيء فى طريقها ، ونفذت الأحكام الجديدة فى المواعيد التى حددت لها ، وأحيط تنفيذها بمنتهى الصرامة والشدة .

عندئذ بلغ اليأس بالموريسكيين ذروته ، فتهامسوا على المقاومة والثورة والذود عن أنفسهم أزاء هذا العسف المضنى أو الموت قبل أن تنطفىء فى قلوبهم وضمائرهم آخر جذوة من الكرامة والعزة وقبل أن تقطع آخر صلاتهم بالماضى المجيد والتراث العزيز .

— ٢ —

وهنا يبدأ الصراع الأخير بين الموريسكيين واسبانيا النصرانية ؛ ومن الأسف أننا لم نتلق عن هذا المرحلة المؤسية من تاريخ اسبانيا المسلمة شيئا من الروايات العربية ، وكل

ما انتهى إلينا منها عن المأساة أثر صغير يسمى « أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر » ، كتبه فيما يظهر مسلم أو موريسكى من أشراف غرناطة وذلك سنة ٩٤٧ هـ (١٥٤٢ م) أعنى بعد سقوط غرناطة بخمسين سنة . وفيه يصف حوادث سقوطها وما تلا ذلك من ارغام المسلمين على التنصر ، ومن مطاردتهم وإرهاقهم وتعذيبهم ، ويجمل لنا مأساة التنصر فى هذه الكلمات المؤثرة .

« ثم بعد ذلك دعاهم (أى ملك قشتالة) الى التنصر وأكرههم عليه وذلك فى سنة اربع وتسعمائة ، فدخلوا فى دينهم كرها ، وصارت الاندلس كلها نصرانية ، ولم يبق فيها من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إلا من يقولها فى قلبه وفى خفية من الناس ، وجعلت النواقيس فى صوامعها بعد الآذان ، وفى مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله وتلاوة القرآن . فكم فيها من عين باكية وقلب حزين ، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين لم يقدروا على الهجرة واللحوق باخوانهم المسلمين قلوبهم تشتعل ناراً ، ودموعهم تسيل سيلا غزيرا ، وينظرون أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان ويأكلون الخنزير والميتات ويشربون الخمر التى هى أم الخبائث والمنكرات ، فلا يقدرون على منعهم ولا على نهيهم ولا على زجرهم ، ومن فعل ذلك عوقب بأشد العقاب وعذب بأشد العذاب ، فيا لها من فجيعة ما أمرها ومصيبة ما أعظمها وطامة ما أكبرها » (١)

بيد أن هذه الرواية العربية الوحيدة تقف فى تتبع حوادث المأساة عند هذا الحد ؛ وإذن فليس لدينا لتتبع حوادث هذا الصراع الأخير بين الموريسكيين وبين اسبانيا النصرانية سوى المصادر القشتالية ؛ وإذا كانت هذه المصادر النصرانية ، تتأثر فى كثير من المواطن بالعوامل الدينية والقومية ، فانها مع ذلك تعرض هذه الحوادث المؤسية فى أسلوب مؤثر ، ولا تضن فى بعض المواطن والمواقف بعطفها وأحياناً باعجابها على ذلك الشعب الباسل الذى لبث يناضل حتى الرمق الأخير عن كرامته وعن تراثه الروحى والقومى .

(للبحث بقية) محمد عبد الله عنان
(النقل ممنوع)

(١) أخبار العصر (طبعة المستشرق مبلر) ص ٥٤ ، ٥٥

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب
استاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ٥ —

الديانة المصرية — قداسة الحيوان عند الخاصة

بقى علينا قبل أن نغادر فصل الألوهية عند قدماء المصريين أن نبين حقيقة علمية ظلت مستورة وقتاطويلا يكتنفها الغموض ويحوطها الابهام من كل جانب ، وظل العلماء والباحثون يتخبطون فى حل مشكلتها مدى بعيدا . تلك المشكلة هى عبادة المصريين للحيوانات التى طالما كانت موضع الحيرة من المستمصرين الذين يدينون بمدنية مصر الفائقة ورقى عقليتها الممتاز الذى لا يتفق مع عبادة الحيوانات تحت لواء منطق مستقيم

وها نحن أولاء نبين رأى الخاصة المتفلسفين فى عبادة الحيوان بعد أن أبنا فى الكلمات السابقة منشأ عقائد العامة الذين كانوا يعبدون تلك الحيوانات دون أن ينشغلوا بأسباب هذه العبادة . وقد ذكرنا لك فروض العلماء التى تمحلوها فى هذا الشأن ؛ أما الخواص من المصريين فبررات عبادتهم للحيوان تتلخص فيما يلى :

كان المصريون يعتقدون أن الروح تعود بعد الموت فتقطن فى المومياء المحنطة وفى التمثال الحجرى على ما سنبين ذلك فى بابه ، ثم تدرجوا إلى أن للانسان عدة شخصيات بعضها مادى وبعضها روحى ، وأن كل شخصية من هذه الشخصيات يمكن أن تستقل بنفسها فى مأوى خاص وإذا كان هذا شأن الانسان فأحر بالاله ـ وهو الأعظم روحانية ـ أن يكون له عدة شخصيات تحل كل واحدة منها فى مأوى ، ثم فكروا فهداهم تفكيرهم إلى أن مأوى شخصيات الاله لا يصح أن تكون ميتة كالمومياء ولا حجراً بارداً كالتمثال ، وإنما يجب أن تكون مستحوزة على الحياة الواثبة وأن تكون غير إنسان ، فأخذوا يحلون الاله تارة فى ثور وأخرى فى تمساح ،

وثالثة فى قط ، ورابعة فى طائر ، ثم يتبعون هذا الحلول بتقديس ذلك القط أو ذاك الثور أو هذا الطائر ، ويقدمون إلى هذه الحيوانات أنواع العبادة والإجلال ، لا على أنها معبودات لهم ، ولكن على أنها ظروف قد حلت فيها شخصيات الآله الأعظم التى لا تتناهى .

وكانت هذه العبادة فى أول الأمر مقصورة على فرد واحد من أفراد كل نوع من الحيوانات ينحصر فيه الاختيار من بين جميع أفراد نوعه لميزة لا توجد فى غيره ، ثم تطورت هذه العقيدة فأخذت تشمل أفراد كل نوع عبد منه فرد واحد فى الماضى . وقد شاهد « هيرودوت » فى مصر هذه الحالة فنبأنا بأن حريقاً شب فى مصر فوجه السكان جميعهم عنايتهم إلى نجاة القطط قبل أن يفكروا فى إطفاء النار . وهو ينبئنا كذلك بأن موت بعض الحيوانات كالقطط والكلاب كان يعقبه فى مصر حداد شامل وألم عميق[1]. وليست رواية هيرودوت بأغرب مما يحدثنا به الأدب عن الحيوانات ، إذ ينبئنا أن المصريين كانوا يعتقدون أنها مشتملة على كثير من أسرار الكون الخفية ، فهى مثلا تعلم الغيب وتحيط بما فى المستقبل الغامض على الانسان ، ولكنها تحتفظ بهذه الأسرار ولا تبوح بشىء منها إلا للمقربين الذين اصطفاهم الاله أو سيصطفيهم عما قريب . وهاهى ذى الأساطير المصرية تحدثنا فى قصة « الأخوين » أن « بيتيو » أحد الشقيقين اللذين وشت بينهما زوجة أكبرهما كان عند مواشيه ، وهو لا يدرى تربص شقيقه به ، فهتفت به إحدى البقرات قائلة : هاهو ذا أخوك يريد قتلك بسكينة فانج بنفسك من أمامه [2]

ولم يكن الحيوان وحده هو موضع هذا الحلول الالهى ومقر تلك الأسرار الكونية ، وإنما كان النبات كذلك . ولهذا فكثيراً ما يصادفك فى التاريخ المصرى : حقائقه وأساطيره ، آثار أو قصص تتحدث عن الأشجار المقدسة الحائزة لغوامض الأسرار . فمن ذلك ما ينبئنا به كتاب « الأدب المصرى القديم » من أنه بينما كان فرعون جالساً ذات مرة مع زوجته التى كان يحبها حباً جما تحت إحدى الشجرات المقدسة فى سرور وسعادة ، وإذا بالشجرة تنحنى على الملك وتسر فى أذنه أن زوجته خائنة ؛ إلى غير ذلك مما لو تعقبناه لطال بنا البحث

ارتقت بعد ذلك هذه العقيدة وسارت إلى الفلسفة بخطوات واسعة فقررت أن الإله حال فى كل كائن حى ، بل فى كل جزئية من جزئيات الطبيعة ، وأنه ذو مظاهر مختلفة . فهو مرة روح فى جسم حى ، ومرة روح مجردة ، وثالثة قوة من قوى الطبيعة فى الجو أو على الأرض أو فى أعماق البحار ؛ وهذا الحلول الدينى أولا ، والفلسفى ثانياً ، هو سر عبادتهم للحيوان والنبات.

النفس عند قدماء المصريين

يرى بعض العلماء أن المصريين فى أول عصورهم الفكرية لم يكونوا يعنون بالروح ، أو بعبارة أدق لم يكن عندهم عن الروح فكرة واضحة . ويعللون هذا بأن المصريين كانوا يعتقدون فى تلك العهود السحيقة أن الجسم نفس حى يستمتع فى القبر بكل مميزات الحياة . ولكن هذا الرأى عندى غير صحيح ، إذ أن المعروف عند قدماء المصريين أنهم كانوا منذ أقدم عصورهم يدينون بوجود كائن أجنبى عن الجسم ، وأنه أثناء وجود الجسم فى القبر يختلف إليه من حين إلى آخر ، وأنهم لهذا كانوا يتركون فى بناء القبر ثغرة بسيطة تمر منها الروح جيئة وذهاباً ، وأنه لكى تظل الروح حية يجب أن يبقى مأواها وهو الجسم سليما من الخدوش والجروح ، ولا يضمن سلامة الجسم إلا التحنيط ، فابتدعوه مدفوعين إلى ذلك باحتياجهم اليه ، (والحيلة بنت الحاجة كما يقولون) ؛ ثم أخذ المحنطون الفنيون يتنافسون فى هذه الصناعة ، ويبرهن كل واحد منهم على أنه أقدر من صاحبه على حفظ الجسم سليما زمناً طويلا . غير أنهم اقتنعوا بعد ذلك بأن الجسم مهما كان تحنيطه متقناً سيلحقه البلى على كل حال . وهنا تتعرض الروح للخطر ، فلا مناص إذاً من أن يصنعوا لها مأوى آخر تقيم فيه إذا ما بلى الجسم ؛ فاخترعوا فن النحت . ولما كانت الأسطورة الدينية تشترط أن يكون هذا التمثال المحنط شبيهاً بالجسم الأصلى فى كل تقاطيعه وملامحه دفعتهم هذه الوسوسة إلى الاجادة والإتقان فى النحت بهيئة تعجز أكابر فنانى العصور الحديثة .

عدد المصريون بعد ذلك التماثيل للشخص الواحد حتى جاوزت فى بعض الأحيان مائة تمثال للدفين الواحد . وكان لهذا التعديد سببان : الأول الوسوسة الدينية التى كانت تقض مضاجعهم وتنذرهم بالأخطار المرعبة التى تتعرض لها الروح إذا أخطأ المثّال فى شىء ولو يسيرا من تقاطيع الجسم أو

(١) راجع هيرودوت الكتاب الثانى فصلى ٦٦ و ٦٧ .

(٢) راجع كتاب «قصص مصر الشعبية» ترجمة الأستاذ «ماسبرو» طبعة ثالثة

ملامح الوجه ، فكان الاكثار من التماثيل يقيهم شر هذا الخوف المتسيطر . أما السبب الثانى فهو أن تكون الروح فى عالم الآخرة غنية سعيدة بالتنقل من تمثال إلى تمثال . ولكن منشأ هذا التعديد قد نسى بمرور الزمن ثم تطرقت اليه التأويلات المختلفة التى تلحق عادة كل عقيدة نسى أصلها . وكان أحد هذه التأويلات الكثيرة أن هذه التماثيل لم تصنع عبثاً ، وإنما صنع كل تمثال منها لروح خاصة ، لأن كل شخص يشتمل على عدة أرواح تسمى إحداها : « L, âme » أى الروح ، والثانية : « L, esprit » أى النفس أو العقل . والثالثة « Le double » (دوبل) وهى صورة صيغت من مادة أدق من مادة الجسم ، ولكنها على هيئة الجسم تماما . والرابعة « Le Ka » (الكا) وهى الجوهر الخالد الموجود فى الانسان وفى كل إله ، وهو سر الحياة وسر السمو .

وتمتاز « الكا » عند المصريين عن بقية شخصيات النفس بأنها تظل فى عالم السماء مادام الانسان فى الحياة ، فاذا مات اتصلت به اتصالا وثيقاً يجعله غير قابل للزوال . أما الروح فانها تظل مترددة على الجسم فى قبره كما أسلفنا . حتى اذا ما فاز الميت برضى « توت » انكشفت أمامه كل أسرار الحياة وأصبح لافرق بينه وبين الأحياء إلا أنهم يسيرون على الأرض وهو نائم فى قبره . ومن أسباب هذا الرضى أن يتعبد الشخص فى حالة حياته بتلاوة كتاب توت وأن يوصى بوضعه معه فى قبره إذا أمكن ذلك . وفى هذا المعنى تقول الأسطورة المصرية « إن كتاب توت الذى كتبه الإله بيده ، والذى لا يحتوى إلا على عزيمتين اثنتين والذى اشتمل على جميع كلمات الخلق والتكوين المقيدة للآلهة أنفسهم ، إذا حصلت عليه ثم تلوت القسم الأول منه سحرت السماء والأرض وعالم الليل والجبال والبحار وفهمت لغة الطير واستطعت أن ترى الأسماك فى أغوار الأنهار ، لأن قوة خفية تصعد بها على وجه الماء ؛ واذا تلوت القسم الثانى من هذا الكتاب فانك بعد أن تصير فى القبر تعود إلى شكلك الذى كنت عليه فى حال الحياة وترى الشمس حينما تشرق والقمر حينما يظهر [1] » .

وكان المصريون يعتقدون أن الروح وهى فى عالم الآخرة تظل مفتقرة إلى ما يقدمه إليها الأحياء من طعام وشراب فى الضحايا والقرابين ، وانها إذا تركت بدون هذه الضحايا يؤلمها هذا الاهمال كما يؤلم الأحياء . ولا ريب أن هذه العقيدة تدل للوهلة الأولى على مادية المصريين . وقد استند بعض الباحثين إلى هذه الأسطورة ومثيلاتها من ترك المصريين ثغرة للروح تمر منها ، ومن قولهم بافتقار الروح إلى مأوى مادى تقيم فيه كالمومياء والتمثال ، فجزموا من كل هذا بأنه اذا كان للمصريين فلسفة فانها مادية ساذجة ؛ وهو قول بعيد عن الصحة بعد العدم عن الوجود ، لأن للنفس عند المصريين عدة شخصيات ، فاذا كانت إحدى هذه الشخصيات مادية تأكل وتشرب بعد الموت من الضحايا والقرابين وتحتاج إلى ماوى تقيم فيه وثغرة تنفذ منها ، فلا ينزل ذلك بفلسفتهم إلى المادية ، لأن قولهم بوجود الشخصية الأخرى التي هى جوهر الأسرار الإلهية يصعد بهذه الفلسفة إلى أسمى أوج الروحانية . على أنى لا أدرى كيف يجرؤ هذا البعض من العلماء على أن يرموا فلسفة المصريين بالمادية الساذجة من أجل قولهم بافتقار الروح إلى الأكل والشرب والمأوى ثم هم يسوغون لأنفسهم أن يشيدوا بفلسفة « تاليس » و « أناكسماندر » و « أناكسيمين » و « ديوجين » ، وهم لم تخطر لهم الروح ببال ؛ أو بفلسفة « ديموقريت » و « إبيقور » اللذين — وإن قالا بالثنائية — لا يميزان الروح عن المادة إلا بنفس الميزة التى ميز بها المصريون من قبل « الدوبل » عن الجسم ، وهى كما نص « ديموقريت » و « إبيقور » : « إن النفس من ذرات أدق وأكثر شفافية من ذرات الجسم ، وهذا هو كل ما بينهما من فرق ، أضف إلى هذا أن « أفلاطون » نفسه — وهو ثانى أجلاء فلاسفة اليونان الروحانيين — يرى أن النفس مكونة من ثلاث قوى : إحداها جوهرية خالدة ، والاثنتان الأخريان ماديتان قابلتان للفناء . فهل عيب التفكير المصرى هو أنه سبق غيره إلى النظريات الراقية بأكثر من عشرين قرنا ؟ !

مما هو جدير بالذكر عند قدماء المصريين أن الروح كانت عندهم تتصل بعالم الأحياء فتذكره بعظات الماضى وتنبئه بأسرار المستقبل وتنصحه بعمل شىء وتحذره من عمل آخر إلى غير ذلك مما تفيض به الأساطير

(يتبع) **محمد غلاب**

(١) راجع « القصص المصرية » للاستاذ « ماسبرو » صفحة (١٠٨)

ذكرى المولد النبي

من مشاهد عكاظ المؤثرة (١)

للأستاذ سعيد الأفغاني

استيقظت مكة ذات صباح ، بعد عام الفيل بأربعين ، على جرس حلو ساحر ، يرسله محمد الأمين داعيا قومه إلى الله وحده ، وأن ينبذوا ما هم فيه من عبادة أصنام ووأد بنات وقتل أولاد ، وأن يقبلوا على ما يشيع فيهم المحبة والسعادة ويوطد لهم المجد والعزة فى العالمين .

استمع مشركو مكة إلى هذا الرجل الذى كان حبيبا إلى قلوبهم ، عظيم المنزلة فى صدورهم ، مضرب المثل بينهم فى علو الخلق وطهارة السيرة وصفاء السريرة ، فنظر بعض إلى بعض مكبرين ما أتى به ابن عبد المطلب سيد فتيان هاشم ورجل مكة المنتظر .

ونزت فى تلك الرءوس حمية جاهلية استعصى قيادها على البيان الساحر والعقل الوافر والحرص المخلص ، فعظم عليها أن تترك ما ألفت ، وتألبت قوى أهل مكة جيوشاً متضافرة تكيد لهذا الداعى إلى الخير ولأولئك القانتين المخبتين من الضعفاء والنساء والصبيان ، الذين ملكت عليهم الدعوة الجديدة شعورهم وتغلغل صوت الإله فى أعماق نفوسهم فصفاها وأخلصها ، ليكون منها الهدف الأول الذى يصمد فى سبيل العقيدة الحق للأذى والتشريد والتجويع والتعذيب بصبر عجيب وإيمان صليب واغتباط متزايد ، كأنما يجدون فى هذه الآلام نعما ولذائذ . فكانت مصابرتهم وثباتهم خير ما ضمن نجاح الدعوة وتقاطر الناس عليها فيما بعد .

إلا أن الأذية عظمت ، وأبى المشركون إلا إصراراً واستكباراً وصداً عن سبيل الله من آمن به ، وكادت تتسرب شوائب من يأس إلى بعض تلك النفوس العظيمة ، لولا بارقة أمل لاحت لهم فى قصد قبائل العرب بالمواسم فى عكاظ ومجنة وذى المجاز .

* * *

وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بثلاث سنين فى عكاظ ، يدعو الناس إلى الخير والهدى والسعادة . وقد لزمه منذ قيامه بالدعوة حزن عميق على قومه الذين كفروا بنعمة الله ، وآلمه ألا يراهم مسارعين إلى ما به صلاحهم ، فعزم ليقصدن المواسم وليأتين فيها القبائل ، كل قبيلة بمنزلها ، وكل جماعة فى حيهم ، يعرض عليهم هذا الدين الجديد . ولقد حرص الحرص كله على أن يهتدوا ، وكان أسفه يشتد كلما ألح قومه بالصد .

قام فى عكاظ يقول :

« يا أيها الناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا »

ويتبعه رجل له غديرتان كأن وجهه الذهب وهو يقول :

« يا أيها الناس ، إن هذا ابن أخى وهو كذاب فاحذروه . »

فعرف الناس أن هذا (الصاد عن سبيل الله) هو عمه أبو لهب ابن عبد المطلب ، يكذبه كلما قال كلمة الحق .

عاود والرسول الدعوة مراراً فلم يجب ولم ييأس ، ورجا أن يجد فيهم الحامى والمجير على الأقل إذ لم يجد المجيب ، فكان يقول للحى فى موسم عكاظ :

« لا أكره منكم أحداً على شىء : من رضى الذى أدعوه إليه قبله ، ومن كرهه لم أكرهه ؛ إنما أريد أن تحوزونى مما يراد بى من القتل ، فتحوزونى حتى أبلغ رسالات ربى ويقضى الله لى ولمن صحبنى بما شاء (١) . »

كان الناس يعجبون من أمره وأمر عمه ، وهم بين راض وغاضب ، ومتعجب يرى بعينه ثم يمضى كأن الأمر لا يهمه . منهم من لا ينكر ما يسمع ، ومنهم من يرد أقبح الرد ، ومنهم من يقول : قومه أعلم به .

كان هذا دأبه أبداً ، يوافى به القبائل سنة بعد سنة ، حتى إن منهم من قال له : « أيها الرجل ، أما آن لك أن تيأس ؟! » ، من طول ما يعرض نفسه عليهم .

* * *

انتهى رسول الله فى تطوافه على القبائل فى عكاظ ، إلى بنى محارب ابن خصفة ، فوجد فيهم شيخاً ابن عشرين ومائة سنة ، فكلمه ودعاه إلى الاسلام وأن يمنعه حتى يبلغ رسالة ربه ؛ فقال الشيخ : « أيها الرجل قومك أعلم بنبئك . والله لا يؤوب بك رجل إلى أهله إلا آب بشر ما يؤوب به أهل الموسم ، فأغبن عنا نفسك . » وإن أبا لهب لقائم يسمع كلام المحاربى .

ثم وقف أبو لهب على المحاربى فقال .

ولو كان أهل الموسم كلهم مثلك لترك هذا الدين الذى هو عليه ، إنه صابىء كذاب . »

(١) من كتابنا (أسواق العرب) الذى تصدره فى هذه الأيام : المكتبة الهاشمية بدمشق ، بتصرف قليل

(١) دلائل النبوة ص ١٠٢

قال المحاربي : « أنت والله أعرف به ، هو ابن أخيك ولحمتك . »

ثم قال : « لعل به يا أبا عتبة لمماً ، فإن معنا رجلا من الحي يهتدى لعلاجه . » فلم يرجع أبو لهب بشيء (١) .

روى عبد الرحمن العامري عن أشياخ من قومه قالوا :

أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بسوق عكاظ فقال :

- ممن القوم ؟

قلنا : - من بنى عامر بن صعصعة .

- من أي بنى عامر ؟

- بنو كعب بن ربيعة .

- كيف المنعة فيكم ؟

- لا يرام ما قبلنا ولا يصطلى بنارنا .

فقال : إنى رسول الله ، فإن أتيتكم تمنعونى حتى أبلغ رسالة ربى ولم أكره أحداً منكم على شيء ؟

قالوا : - ومن أي قريش أنت ؟

- من بنى عبد المطلب .

- فأين أنت من بنى عبد مناف ؟

هم أول من كذبنى وطردنى

قالوا : - ولكنا لانطردك ولا نؤمن بك ، ونمنعك حتى تبلغ رسالة ربك »

فنزل إليهم والقوم يتسوقون ، إذ أتاهم بجرة بن قيس القشيرى فقال :

- من هذا الذى أراه عندكم أنكره ؟

قالوا : - هذا محمد بن عبد الله القرشى .

- مالكم وله ؟

- زعم لنا أنه رسول الله ، يطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه .

- فماذا رددتم عليه ؟

- قلنا فى الرحب والسعة ، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع به أنفسنا .

قال بجرة : - ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشر من شيء ترجعون به . بدأتم لتنابذكم الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة . قومه أعلم به ، لو آنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به . تعمدون إلى رهيق قوم قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه ؟ فبئس الرأى رأيتم .

ثم أقبل على رسول الله فقال : « تم الحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومى لضربت عنقك »

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ناقته فركبها ، فغمز الخبيث بجرة شاكلتها فقمصت برسول الله فألقته . وعند بنى عامر يومئذ ضباعة بنت عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتى أسلمن مع رسول الله بمكة ، جاءت زائرة إلى بنى عمها فقالت : « يا آل عامر ولا عامر لى ! أيصنع هذا برسول الله بين أظهركم لايمنعه أحد منكم ؟ »

فقام ثلاثة نفر من بنى عمها إلى بجرة ، وثلاثة أعانوه ، فأخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الأرض ثم جلس على صدره ، ثم علقوا وجوههم لطما ، فقال رسول الله :

« اللهم بارك على هؤلاء ، والعن هؤلاء . »

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركته السن حتى لايقدر أن يوافى معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه سألهم عمن كان فى الموسم فقالوا :

« جاءنا فتى من قريش ثم حدث أنه أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به معنا إلى بلادنا . »

فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال :

« يابنى عامر : هل لها من تلاف ؟ هل لذناباها من تطلب ؟ فوالذى نفس فلان بيده ، ماتقولها إسماعيلى قط . ألا إنها الحق ؛ فأين كان رأيكم ؟ (١) »

* * *

هذه الأسواق الثلاث : عكاظ ومجنة وذو المجاز ، التى كانت تقوم فى أيام الحج ويؤمها العرب قاطبة من كل حدب وصوب ، شهدت إلى جانب مناظر البيع والشراء والمفاخرة والانشاد ، مشهداً من أفظع مشاهد الجفاء والتنكر والأذى لصاحب الشريعة الإسلامية صلى الله عليه وسلم . وابتلعت تلك الأصوات بضجيجها وما كانت تعج به من حوادث ، صوت الدعوة الإسلامية فيما ابتلعت من دعوات ، وغاب صوت صاحبها فى ذلك الصخب والزحام ؛ فلقد مكث الرسول بمكة مستخفياً ثلاث سنين ، ثم أعلن فى الرابعة ودعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافى فيهن المواسم كل عام ، « يتبع الحاج فى منازلهم بعكاظ ومجنة وذى المجاز يدعوهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ، فلا يجد أحداً ينصره أو يجيبه ، حتى إنه ليسال عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة فيردون

(١) المصدر نفسه ص ١٠١

(١) دلائل النبوة ص ١٠٠

عليه أقبح الرد ، ويؤذونه ويقولون له : قومك أعلم بك (١) »

كان قاصد هذه الأسواق أيام الحج موزع السمع بين داع إلى ثأر وناشد ضالة ، ومنشد قصيدة ، وخطيب ، وعارض بضاعة ، وحامل مال لفك أسير ، وقاصد شريف لإجارة أو حمالة ، وداع إلى عصبية ، وآمر بمنكر . . . ، فيجد شيئاً معروفاً قد ألفه منذ عقل وأبصر الدنيا . لكنه بعد عام الفيل بثلاث وأربعين سنة يجد أمراً لم يألفه قط ، ولا سمع بمثله : رجلا كهلا وضيئاً عليه سيمات الوقار والرحمة والخير ، يسأل عن منازل القبائل قبيلة قبيلة : هذه بنو عامر بن صعصعة ، وهذه محارب ، وتلك فزارة ، والرابعة غسان ، وهناك مرة وحنيفة ، وسليم ، وعبس ، وهنا بنو نصر وكندة ، وكعب ، وعذرة ، وهؤلاء بنو الحارث بن كعب وأولئك الحضارمة . . . الخ

يؤم منازل كل قبيلة ، ويقصد إلى شريفها يدعوه بالرفق إلى الله وفعل الخير فيتجهم له هذا ويعبس ذاك ، ويجبهه ذلك ، ويحقره آخر .. فيلقى من الصد ألواناً يضيق ببعضها صدر الحليم ، فلا يؤنسه ما لقى ، ولا يكفه ما أوذى ، فيمضى متئداً حزيناً إلى قبيلة أخرى وشريف آخر : يعرض عليهم نفسه ويقول :

« هل من رجل يحملنى إلى قومه ، فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى . فلا يجد مجيباً ، حتى تدارك الله نبيه بوفد الأنصار .

* * *

هذا ما حفظته لنا كتب السيرة من مشاهد مؤثرة ، فرأينا أن تلك الأسواق لم تخل من دعوة إلى خير ، فقد تردد فى أجوائها الصوت الضعيف الخافت ، يطلب حماية وإجابة . ولئن صدف عنه الناس وازوروا فى أسواق الجاهلية ، إنه ملأ فيما بعد ما بين المشرق والمغرب ، وطبق الخافقين بآثاره التى بثها فى العالمين رحمة وعدلا وعلماً ، وإنسانية وسعادة ومثلا عليا .

وما زال يستجيب لهذا الصوت كل يوم أفواج من أمم الحضارة والعرفان ، فى آسيا وأوروبا وأمريكا . صدعنه قديماً أجلاف البادين ، وهرع إليه اليوم زمر المتحضرين ، من كل عالم ومخترع ومصلح وأديب وسياسى ومفكر . . ممن يستضىء بعلمهم وفكرهم الملايين من الخلق .

فلنأخذ من هذه الأسواق العبرة ، ولنحفظ هذا الدرس ؛ فإن الحق مهما بدا ضعيفاً وبدا خصيمه الباطل قويا صائلا ، لا بد أنه ظافر فى النهاية عليه . فليس فى الدنيا شىء يصمد للحق ، لا الجيوش ولا الأساطيل ، ولا النار ولا الحديد ، لا شىء له العقبى إلا الحق . وأهون بعد ذلك بالمعاهدات والمراسيم وصكوك الانتدابات وسائر القصاصات من أوراق الزور . كل أولئك يضمحل ويذوب متى سلط عليه الإخلاص والثبات وصلابة العقيدة والإيمان . وما نرى فى أيامنا هذه من استضعاف الباطل المعتز بالصولة ، لأناس وقفوا يدعون النضال فى سبيل الحق ، واستخذاء هؤلاء له ، وطواعيتهم فى يديه ، ناشىء من فقدان الاخلاص والعقيدة فيما يضمرون . ولعل كثيراً منهم يظهر دفاعا عن حق ، ويبطن سعياً إلى منصب أو استدراراً لمال . وما أسرع ما ينزع الزمان الأثواب المزورة عن هذا الفريق فيظهر للناس ما يخفون .

ولنعلم بعد أن اليأس لا ينبغى أن يجد سبيلا إلى قلب المؤمن ، وأنه : « لا ييأس من روح الله إلى القوم الكافرون »

« دمشق » **سعيد الأفغانى**

(١) شرح المواهب ١ : ٣٠٩

عبرة وفاء

الرافعي

للأستاذ كامل محمود حبيب

أليس الحق أن العيش فان   وأن الحي غايته المات
(شوقي)

فقدتك - يا رافعي - ففقدت صديقاً، والأصدقاء قليل؛ وأخاً كبيراً طيب القلب، والقلوب هواء؛ وأباً شفيقاً فيه الرحمة والحنان؛ وأستاذاً غمرني نور علمه ونور أدبه

كنتَ وكنا ... ففتحت على عينيك مغاليق نفسي، فأحسست كأني ألمس روحك تتدفق في روحي، فهفوت نحوك أجد في حديثك اللذة والمتعة، وأجد في نصيحتك الهداية والنور ... فلما فقدتك فقدت قلبي، وأذهلتني الصدمة فخرجت عن صبري إلى حزني؛ وكدتُ أشق عليك الجيب، وألطم الخد. ولكنّ الايمان يا رافعي ... ولكن الايمان ...

وانطويتُ على نفسي ألتمس في عبرات حرّى أسكبها، أشيعك بها إلى الدار الأخرى ... ألتمس فيها بعض ما يخفف عني بَرح الشوق، وألم الفجيعة؛ فما وجدتُ فيها سلوة ولا وجدتُ عزاء، فاستحوذ على الأسى والشجن، ونسيتُ ما كنتَ تقوله حين تزعزعني الأيام: «الايمانَ، يا بنيّ، الايمان ...»

وخرجتُ إلى الناس فرأوا في أثر الحزن والضني في سواد لبستُه، وفي تجهم وعبوس اكتسى بهما وجهي، وفي عبرة تترقرق في محجريّ أجهد أن أكفكفها لأخفي ضعفي، وفي جفوني قرح من أثر البكاء والسهر؛ فما استطاع واحد أن يقول شيئاً، غير أن نظراتهم كان فيها الرثاء والشفقة ... ثم انطووا عني جميعاً، وخلفوني وحيداً، أحس ألم الوخزة في قلبي ... قلبي وحده

ومرّ رجل يبسم وعلى وجهه سمات الفرح فهاجت في نفسي الذكرى فبكيت، ونظر هو إلى حزني ثم استغرق في الضحك، لا يرعوى ولا يرحم؛ فقلت لنفسي «ويل للشجيّ من الخلي!»

وجاء صديق يريد أن يرفه عني، ويطمع في أن ينزعني من آلامي، بعبارات فاترة ثقيلة لا معنى فيها ولا روح؛ ولكنها أثارت شجوني، فانتفض قلبي، وارفضّ جبيني عرقاً، وانهمرت عبراتي؛ فانطلق وهو يرثي لحال صاحبه ... صاحبه المسكين الذي لا يسمع ولا يعي ... وماذا يعزيني عنك يا رافعي وأنت ... في دمي وفي روحي؟

وجلستُ إلى كتاب من كتبك أنشق عبير روحك الطاهرة، وأتنسم من ألفاظك روح قلبك الخالص؛ فارتدت الذكرى تبعثك في خيالي، فتوقظ في نفسي الألم والحسرة لأنني استشعرت فقدك في قلبي

إن في النفس عواطف لا يرقى اليها القول، وفي الفؤاد نوازع لا يستطيع أن يكشف عنها المنطق، أحس بها جياشة ثائرة فانطوى على أحزان تأكل قلبي وتضطرم في جوانحي ... ثم لا أجد عاصما سوى الدمع ...

* * *

وجاء النعي يقول: إنك بت تحت الثرى، وإن تاريخك على الأرض قد تم، فوجمتُ، وجاء الظلام يترع أيامي في وقت رفّ عليّ فيه الأمل الحلو حين خيل إليّ أني أنتظر لقياك، ولكن ... فجعت مرتين: فيك وفي أملي ...

وطال بعدك ليلي حين لج بي الأسى، ونأت عني مسراتي حين لازمتني أشجاني، وغدوتُ إنساناً غيري فيه اللوعة والأسف.

لقد عرفتك فبعثت في روحي الحياة والنور، ونفثتَ في قلبي الايمان والسمو؛ والآن ... الآن رانت على حياتي ظلمات وظلمات فما أستطيع أن أهتدي، والبحر يزخر حوالي فلا أرى الشاطئ الأمين، فأين يدك تجذبني إليه، وأين قلبك ينير لي الطريق ...؟

تركتني وأتراحي، وفي القلب شوق، وفيه شكاية، فمتى تغسل دموعي هذه الأشجان لأبدو للناس رجلا فيه الصبر والسلوان.

* * *

لفتك يد المنون في كفن لتنشر في الأفئدة اللوعة والأسى

بعد الموت

ماذا أريد أن يقال عنى

بقلم المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

ساله محرر الدنيا منذ شهرين هذا السؤال فكتب اليه هذا المقال :

ما هى الكلمات التى تقال عن الحي بعد موته إلا ترجمة أعماله فى كلمات ؟ فمن عرف حقيقة الحياة عرف أنه فيها ليهيء لنفسه ما يحسن أن يأخذه ، ويعد للناس ما يحسن أن يتركه ، فان الأعمال أشياء حقيقية لها صورها الموجودة وإن كانت لا ترى .

وبعد الموت يقول الناس أقوال ضمائرهم لا أقوال ألسنتهم ، إذ تنقطع مادة العداوة بذهاب من كان عدوا ، وتخلص معانى الصداقة بفقد الصديق ، ويرتفع الحسد بموت المحسود ، وتبطل المجاملة باختفاء من يجاملونه ، وتبقى الأعمال تنبه إلى قيمة عاملها ، ويفرغ المكان فيدل على قدر من كان فيه ، وينتزع من الزمن ليل الميت ونهاره فيذهب اسمه عن شخصه ويبقى على أعماله .

ومن هنا كان الموت أصدق وأتم ما يعرف الناس بالناس ، وكانت الكلمة بعده عن الميت خالصة مصفاة لا يشوبها كذب الدنيا على إنسانها ، ولا كذب الانسان على دنياه ، وهى الكلمة التى لا تقال إلا فى النهاية ، ومن أجل ذلك تجيء وفيها نهاية ما تضمر النفس للنفس .

وماذا يقولون اليوم عن هذا الضعيف ؟ وماذا تكتب الصحف ؟

هذه كلمات من أقوالهم : حجة العرب ، مؤيد الدين ، حارس لغة القرآن ، صدر البيان العربى ، الأديب الأمام ، معجزة الأدب ، إلى آخر ما يطرد فى هذا النسق ، وينطوى فى هذه الجملة . فسيقال هذا كله ولكن باللهفة لا بالاعجاب ، وللتاريخ لا للتقريظ ، ولمنفعة الأدب لا لمنفعة الأديب . ثم لا يكون كلاماً كالذى يقال على الأرض يتغير ويتبدل ، بل كلاماً ختم عليه بالخاتم الأبدى ، وكأنما مات قائلوه كما مات الذى قيل فيه .

أما أنا فماذا ترى روحى وهى فى الغمام وقد أصبح الشيء عندها لا يسمى شيئاً ؟ إنها سترى هذه الأقوال كلها فارغة من المعنى اللغوى الذى تدل عليه لا تفهم منها شيئاً إلا معنى واحداً هو حركة نفس القائل ، وخفقة ضميره . فشعور القلب التأثر هو وحده اللغة المفهومة بين الحى والميت

سترى روحى أن هؤلاء الناس جميعاً كالأشجار المنبعثة من التراب عالية فوقه وثابتة فيه ، وستبحث منهم لا عن الجذوع والأغصان والأوراق والظاهر والباطن ، بل عن شيء واحد هو هذه الثمرة السماوية المسماة القلب . وكل كلمة دعاء وكلمة ترحم وكلمة خير . ذلك هو ما تذوقه الروح من حلاوة هذه الثمرة

مصطفى صادق الرافعى

وأودعتك رمساً لتوقظ فى النفوس الهموم والشجن .

وأطفأت السراج المنير لينقلب ناراً تتسعر بين الضلوع .

ونزعتك من بيننا لتشعرنا الوحدة والفراغ .

فلنا الله ... لنا الله بعدك يارافعى .

* * *

آذنى هذا الأمر فانشق له قلبى .

وتفطر فؤادى حين لفحنى أواره .

وفقدت الآسى وقد فزع عنى الصديق والخليل

فظللت وحدى أذرف الدمع السخين .

فواحرّ كبدى ... واحر كبدى مما أقاسى بعدك يا رافعى !

كامل محمود حبيب

من كلام الرافعى

قيل له رحمه الله : هل تكره الموت ؟ فقال لا بل أكره ذنوبى ، أما الموت فهو اكتشاف العالم الأكبر ، نسأل الله حسن الخاتمة . وقيل له ما هى وصيتك إذا حضرتك الوفاة ؟ فقال : هى تكرار المبدأ الذى وضعته لأولادى :

النجاح لا ينفعنا بل ينفعنا الامتياز فى النجاح

مات الرافـــعى

بقلم السيد محمد زيادة

إذن فقد مات مصطفى ، وانطفأ السراج الوهاج ...

وهدأت الروح النبيلة الرفافة التى ماخلقت لتهدأ ...

وفرغ الوجدان الفضفاض من هموم الانسانيـة وآلام الناس ... وسكن القلب الصخاب المتكلم ، المحلق فى أجواء السمو، الخافق خفقات الهوى العفيف ...

وغربت النفس الأبية الملهمة الجائشة فيها خواطرُ الغيب وأسرار الكيان ...

ونام العقل الجبار الحر النافذ شعاعه إلى كل سماء يستطلع الحقائق ، المرسل سناه على كل أرض يُطالع الناس ...

وانطفأ السراج ... انطفأ السراج الوهاج ...

* * *

إذن فقد مات مصطفى وخلا من الحياة مكانه ليظل خالياً لايجد الكفؤ الذى يملؤه ...

وجنحتْ الشخصية الحبيبة المرموقة إلى العزلة ... عزلة الأبد

وعدمت الموهبة المخلوقة للكفاح والاصلاح ...

وانهدّتْ القوة الفعالة المبدَعة المبدِعة ...

وانحصر الميدان الآهل بعرائس الخيال الفاتنة بين جدران قبر ضيق ...

وتهيأ الأدب العريق الفتى ليزول أو زال ...

وانطفأ السراج ... انطفأ السراج الوهاج ...

* * *

إذن فقد مات مصطفى ، ورحلت البارقة الهفافة من أفق الدنيا إلى آفاق الآخرة ...

وشال الطائر الغريد عن الحمى يرف بجناحيه رفيف الوداع ، وخفقت القلوب ، وتباكت العيون ، وذابت قطع من النفوس ، وسرى فى جو الأدب برق ورعد هز كيانه ... ثم أعقبه غبار ودخان لاح فيه سواد المصيبة ...

ووجمت الحياة من روعة ما جدّ فيها ...

وشاع فى العالم العربى أن الرافعى قد مات ...

وانطفأ السراج ... انطفأ السراج الوهاج ...

* * *

مصطفى ... أأناديك يا أبى أم يا أخى أم ياصديقى ؟! .

إنك والله كنت الثلاثة ... كنت الوالد فى حنوّك علىّ ، واهتمامك بى ... وكنت الأخ فى استبشارك بلقيـاى وانتصارك لى ... وكنت الصديق فى إخلاصك النادر ، ووفائك المُعْجب ، وحبك النقى وعطفك الكريم

فأين بعدك الصديق ؟ .. وأين مثلك الصديق ؟! .

وكيف بعدك الحياة وأنت كنت العون فى الملمة ، والفرج فى الضيق ، والسَّراء فى الضرّاء ؟!

لقد فقدت بفقدك ركن حياتى الثابت المدعم ؛ وشيعت فى تشييعك مسرة النفس ، وراحة الفؤاد ، وأمان العيش ؛ وقبرت معك أملا من آمالى كان أنضرها ...

* * *

مصطفى ... لقد ذهبت فلم توص ولم تودِّع ... فهل من كلمة أوهمسة تسر بها إلى هابطة من روحك فى السماء إلى روحى على الأرض ؟ ...

هل من إشراقة عطف يطل بها وجهك الصبوح من عليائك على صديقك الشاعر فى فقدك بفقد نفسه ، الحامل لك فى أعماقه شوق الولهان وحسرة السجين ، الواجد من بعدك كل هم وعناء ؟

هل من بسمة ود تسطع على شفتيك فتنير وحشة النفس فى ظلام الوحدة بعد أن حرمتك وحرمت كل حبيب ؟ ...

السيد محمد زيادة

تاريخ وفاة الرافعى بالتركية

ام دنيا بى وفا دنيا قدر فضل اهلنه ،

تولدى داهى، ادب ، صور : نه يدى رسمى موقعى ؟

آلدم ابواب جناندن مصرع تاريخنى :

قدزيكى	بيلسين	ماـكار	آسمانده	رافعى !
٣٤٤	١٦٢	٣٢٠	١٦١	٣٦١

١٣٤٨ المجموع

٨ مضافة إلى المجموع مقتبسة من عدد أبواب الجنة الثمانية

١٣٥٦ المشار إليها فى المصراع الثالث

ترجمة البيتين :

ان أم الدنيا (١) كالدنيا فى عدم وفائها لذوى الفضل والأدب ،فقد مات أكبر الكتاب وهو من صغار الموظفين فى الحكومة! فاستعرت مصراعا لتاريخ وفاته من أبواب الجنة الثمانية وقلت : ليقدر الملائكة قدرك فى السموات أيها الأستاذ الرافعى .

ابراهيم صبرى

نجل شيخ الاسلام السابق للدولة العثمانية

---

(١) (أم الدنيا) من الاسماء التى يكنى بها فى الأدب التركى عن مصر .

أقوال العظماء فى الرافعى

... إن الناظم لم يتجاوز الثالثة والعشرين من سنه ، ولاريب أن من أدرك هذه المنزلة فى مثل هذه السن سيكون من الأفراد المجلين فى هذا العصر ، ومن سيحلون جيد البلاغة بقلائد النظم والنثر

ابراهيم اليازجى

أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفا يمحق به الباطل ، وأن يقيمك فى الأواخر مقام حسان فى الأوائل

محمد عبده

سيأتى يوم إذا ذكر فيه الرافعى قال الناس : هو الحكمة العالية مصوغة فى أجمل قالب من البيان

مصطفى كامل
فى جريدة اللواء

بيان كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من النور الحكيم

سعد زغلول

ثق أنى أسافر مطمئناً وأنت بقيتى فى مصر

عبد المحسن الكاظمى
وهو مسافر الى الأندلس

أراك وأنت نبت اليوم تمشى بشعرك فوق هام الأولينا
وأوتيت النبوة فى المعانى وما جاوزت حد الأربعينا

حافظ ابراهيم

« لو كان هذا الكتاب فى بيت حرام إخراجه للناس منه لكان جديراً بأن يحج إليه ، ولو عكف على غير كتاب الله فى نواشىء الأسحار لكان جديراً بأن يعكف عليه »

شكيب ارسلان
فى كتاب تاريخ آداب العرب

لقد جعلت لنا شكسبير كما للانجليز شكسبير ، وجوته كما للألمان جوته ، وهوجو كما للفرنسيين هوجو

أحمد زكى باشا
فى كتاب المساكين

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

العناكب :

هذا هو العنكب ، فاذا كنت ترغب فى مشاهدته فالمس نسيجه ليتحرك ويسرع بالظهور ، أهلا بك أيها العنكب ، إننى أرى على ظهرك شعاراً أسود مثلث الزوايا ، وما يخفى عنى أيضا ما تضمر من النقمة فى سريرتك .

ان للسعاتك بقعاً فاحمة على الجلود ، ولهاسمها المضلل فى النفوس ، أيها العنكب ، فانا أخاطبكم بالرموز ، أيها العناكب المضللون المبشرون بالمساواة . فما أنتم فى نظرى إلا مستودع لعواطف الانتقام سأكشف عن مكامنكم وأنا أواجهكم بقهقهة تسقط عليكم من الذرى التى أتسنمها . وهأنذا أمزق نسيجكم حتى اذا تملككم الغضب خرجتم من مغاور أكاذيبكم وتدفقت نقمتكم بكلمة العدل التى تتفوهون بها .

لقد وجب على أن أنقذ الانسان من عاطفة الانتقام ، وهذا الواجب هو المعبر المؤدى الى أشرف الآمال ينتصب فوقه قوس قزح بعد هبوب العواصف الكاسحات . ولكن إرادة العناكب لاتتجه إلى هذه الغاية ، فهم يتناجون فيما بينهم قائلين : لا عدل إلا فى عواصف انتقامنا تهب على العالم لتلقى العار على كل من ليس منا .

وهم يقولون أيضا : ما من فضيلة إلا فى طلب المساواة ، فلنرفع عقيرتنا ضد كل سلطان .

آى كهان المساواة ! لقد تسلط عليكم جنون عجزكم ، فهتفتم بهذه المساواة وقد كمنت شهوة عتوكم واستبدادكم وراء ما تعلنون من الفضائل .

إننى أرى فيكم الغرور المتمرمر والحسد المقيم ، ولعل الحسد الذى رعى قلوب أسلافكم يتعالى منكم الآن لهباً يندلع بجنون الانتقام ، وما الأبناء إلا مظهر ما أضمر الآباء . ولكم أفشى الابن سر أبيه !

إن لهؤلاء الناس مظهر المتحمسين ، وما تلهب حماسهم المحبة بل الانتقام . وإذا ، وإذاً ما بدت لك منهم رصانة ومرونة ، فما مصدرهما فيهم العقل بل الحسد . وهو الدافع

لهم إلى التفكير . ودليل حسدهم هو أنهم يندفعون دائماً إلى أبعد من مراميهم فيطرحهم العياء على وساد الثلوج .

وما تسمع لهؤلاء الناس أنيناً يخلو من نبرات الانتقام، فكل ما يصدر عنهم من مديح ينطوى على أذية ، فهم يرون منتهى السعادة فى إقامة أنفسهم قضاة على العالمين . فاصغوا إلى نصيحتى ، أيها الأصدقاء : احذروا من تغلبت عليهم غريزة إنزال العقاب . لأنهم متحدرون من أفسد الأنواع وعلى وجوههم سيماء الجلادين .

إحذروا من لا ينقطعون عن ذكر عدالتهم فان نفوسهم خالية من كل صفة حميدة ، وإذا ما هم ادعوا الصلاح والانصاف فلا تنسوا أنهم لم يتخذوا بين الفرنسيين مقامهم إلا لما يشعرون به من عجز

إننى أربأ بنفسى ، أيها الصحاب ، أن تنزلوها بين هؤلاء الناس فلا تميزون بينى وبينهم . فهنالك من يذيعون تعاليمى عن الحياة وهم فى الوقت نفسه ينادون بالمساواة وينتمون إلى العناكب المسمومة ، هم يدافعون عن الحياة ولكنهم يعرضون عنها قابعين فى مغاورهم ليتمكنوا من اجتراح الشرور والايقاع بمن يقبضون على زمام السلطة فى هذا الزمان ، وقد تعودوا إنذارهم بالسقوط ، ولو أن السلطة كانت فى يد العناكب ، لكانت تعاليمهم تتخذ شكلا آخر ، لأنهم عرفوا فيما مضى ، أكثر مما عرف غيرهم ، كيف يوقدون المحارق ويرهقون مخالفيهم اضطهاداً وتعذيباً .

لا أريد أن أحسب من هؤلاء المنادين بالمساواة لأن العدالة علمتنى : (أن لا مساواة بين الناس) وإنه من الواجب ألا يتساووا ؛ وليس لى أن أقول بغير هذا المبدأ وإلا فان محبتى للانسان تصبح ادعاء ومينا ...

على الناس أن يسيروا على آلاف الطرق وآلاف المعابر مسارعين نحو آتى الزمان فتنشأ بينهم الحروب وتتسع شقة التفاوت بينهم على مر السنين ، ذلك ما ألهمنى إياه حبى العميم .

يجب أن يقيم الناس فى أعماق سرائرهم مثلا علياً وأشباحاً يجاهدون فى سبيلها فيسير الصالح والطالح والغنى والفقير والرفيع والوضيع إلى التصادم بجميع ما فى الأرض من نظم فتضطرم الحروب سلاحاً لسلاح ورمزاً لرمز لأن على الحياة أن تتفوق أبداً على ذاتها

إن الحياة تتجه إلى الارتقاء بدعائمها ودرجاتها ، فهى تتطلع إلى الآفاق البعيدة ما وراء الجمال المقتعد عرش غبطته ، لتبلغ مستقرها فى أعالى الذرى

وبما أن الحياة بحاجة إلى ارتقاء المرتفعات ، فهى لا غنى لها عن الدرجات والدركات ليعارض المنخفضون المرتفعين ، إنها لفى حاجة إلى التفوق على ذاتها وهى متجهة إلى الارتقاء

أنظروا ، أيها الصحاب ، هاهى مغارة العناكب وقد لاحت فيها خرائب هيكل قديم فأرسلوا عليه نظرات المستلهمين

والحق أن من جمع أفكاره قديما ليرفعها صرحا من الصخر يناطح السحاب كان كأحكم الحكماء عارفا بأسرار الحياة

إن الجمال نفسه ليقوم على التفاوت والمجالدة فى القوة والتفوق ، وهذا ما يعلمنا إياه هذا الحكيم بأشد الرموز إشرافا

هنا تتدافع القباب والنوافذ فى عراك جلل فتهاجم الظلمة النور ويهاجم النور الظلمة كأنهما إلهان ينازل أحدهما الآخر

اقتدوا بهذا الرمز ، أنتم أيضا فى مجال الجمال والثقة بالنفس .

لنكن نحن أيضا أعداء فيما بيننا أيها الصحاب

وليحشد كل منا قواه ليحارب الآخرين

ويلاه ، لقد أصبت أنا أيضاً بلسعة العنكبة عدوتى القديمة فقد توصلت بثقتها بنفسها وبجمالها الالهى إلى نوال بنانى بلسعتها ، وهاهى تقول الآن : لابد من إنزال العقاب ، لابد من أن يأخذ العدل مجراه ، فانك تغنيت بعظمة السرائر ، فلن يذهب إنشادك جزافا

أجل لقد انتفعت ، ويلاه إنها ستوجه نفسى إلى عاطفة الانتقام .

تقدموا أيها الصحاب وقيدونى بهذا العمود كيلا أتحول عن مبدئى ، فخير لى أن أصبح تمثالا جامداً من أن أهب كعاصفة منتقمة

لن يكون زارا عاصفة وأعصارا ، فما هو إلا رقاص ولكنه ليس رقاص عناكب ... (١)

(١) ما تخبط زارا بمثل تخبطه في هذا الفصل ، فهو القائل بسحق الضعفاء وتطهير الارض من الدخلاء أو الذين يدعوهم بهذا الاسم ولكنه الآن لا يريد أن يكون عاصفة وأعصارا . فهو يكتفى بأن يكون رقاصا لا نتيجة لحركته عند ما يقتحم مبدأه نصرة الضعفاء والمطالبة بحق الشعوب ، غير أنه لا يصل إلى آخر فصله حتى ينقض بعبارة واحدة كل ما أراد ابانه .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦١ — عجيبة . . .

فى (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكى : عجيبة هى مغنية كانت بمصر على عهد السلطان الملك الكامل بن أيوب ، ويذكر أن الكامل كان مع تصميمه [١] بالنسبة إلى أبناء جنسه تحضر اليه ليلا ، وتغنيه بالجنك [٢] على الدف فى مجلس بحضرة ابن شيخ الشيوخ وغيره ، وأولع الكامل بها جداً ، ثم اتفقت قضية شهد فيها الكامل عند ابن عين الدولة ، [٣] وهو فى دست مملكته . فقال ابن عين الدولة : السلطان يأمر ولا يشهد . فأعاد عليه السلطان الشهادة ، فأعاد القاضى القول . فلما زاد الأمر وفهم السلطان انه لا يقبل شهادته ، قال : أنا أشهد ، تقبلنى أم لا ؟

فقال القاضى : لا ، ما أقبلك . وكيف أقبلك وعجيبة تطلع اليك بجنكها كل ليلة ، وتنزل ثانى يوم بكرة ، وهى تمايل سكراً على أيدى الجوارى ، وينزل ابن الشيخ من عندك أبخس مما نزلت !

فقال له السلطان : يا كنواخ ! (وهى كلمة شتم بالفارسية)

فقال القاضى : ما فى الشرع يا كنواخ . اشهدوا على أنى قد عزلت نفسى ونهض .

فجاء ابن الشيخ وقال : المصلحة للملك إعادته لئلا يقال لأى شىء عزل القاضى نفسه ؟ وتطير الأخبار إلى بغداد ، ويشيع أمر عجيبة . فقال له قم اليه ، فنهض إلى القاضى وترضاه ، وعاد إلى القضاء

(١) يريد حزمه . صمم على الامر مضى على رأيه فيه

(٢) يطلق علي الدف الذى يضرب به ، ويقال للذى يضربه : جنكى

(٣) القاضى شرف الدين بن عين الدولة : محمد بن عبد الله . ولى سنة (٦١٧) قضاء القضاة بالقاهرة والوجه البحري ، ومصر والوجه القبلي

٦٢ — الكبر ، النفط

كتب عبد الصمد بن المعذل إلى صديق له ولى النفاطات [١] فأظهر تيها :

لعمرى لقد أظهرت تيهاً كأنما
توليت للفضل بن مروان عكبرا [٢]

دع الكبر واستبق التواضع إنه
قبيح بوالى النفط أن يتغيرا [٣]

من أجل عيون النفط أحدثت نخوة [٤]
فكيف به لو كان مسكا وعنبرا

٦٣ — كيف ترى هذا الفقه

فى (تلبيس ابليس) لابن الجوزى :

قال عبد الرحيم بن جعفر السيرافى الفقيه : حضرت بشيراز عند قاضيها أبى سعيد بشر بن حسن الداودى وقد ارتفع إليه صوفى وصوفية (وأمر الصوفية هناك مفرط جداً حتى يقال إن عددهم ألوف) فاستعدت الصوفية على زوجها إلى القاضى . فلما حضر قالت له : أيها القاضى إن هذا زوجى ويريد أن يطلقنى وليس له ذلك ، فإن رأيت أن تمنعه . فأخذ القاضى يتعجب ، وحنق على مذاهب الصوفية ثم قال لها : وكيف ليس له ذلك ؟ قالت : لأنه تزوج بى ومعناه قائم بى ، والآن هو يذكر أن معناه قد انقضى منى ، وأنا معناى قائم فيه ما انقضى فيجب عليه أن يصبر حتى ينقضى معناى منه كما انقضى معناه منى

فقال لى القاضى : كيف ترى هذا الفقه ؟ ! ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق

٦٤ — أما بشرع محمد من أبوك لك ؟

قال هبة الله بن الفضل فى يحيى بن المظفر المعروف بابن المرخم :

(١) النفاطة (بفتح الفاء وتشديدها وفتحها فقط) : الموضع الذى يستخرج منه النفط وفي الاساس : واستعمل فلان على النفاطات وهي معادن النفط

(٢) عكبرا (بضم العين وسكون الكاف وفتح الباء) بلدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . النسبة إليها عكبرى ، وعكبراوى

(٣) النفط : (بفتح النون وتشديدها وبكسرها والكسر أفصح) حلابة جبل فى قعر بئر ، توقد به النار (اللسان)

(٤) النخوة : العظمة . (قلت) لو بعث (ابن المعذل) فى عصرنا هذا وشهد قدر النفط والنفطيين لاجتزأ باستصغار الكبر وتهجين المستكبرين ، والكبر وصاحبه مذمومان فى كل حالة فى كل زمان . وأما النفط فهو ذو الكلمة العليا فى هذا الوقت ، فى سياسة الدنيا ، واليوم يوم النفط يا عبد الصمد . . .

يا ابن المرخم ، صرت فينا قاضياً
خرف الزمان تراه أم جن الفلك ؟
إن كنت تحكم بالنجوم فربما
أما بشرع محمد من أين لك ؟ !

٦٥ — أفلا يزول هذا التوهم ؟

فى (إرشاد الأديب) لياقوت الحموى :

سال بعض الأكابر من بنى طاهر ابا العباس ثعلبا ان يكتب له مصحفا على مذهب اهل التحقيق فكتب : (والضحى) بالياء . ومذهب الكوفيين أنه إذا كانت كلمة من هذا النحو ، اولها ضمة او كسرة كتبت بالياء ـ وإن كانت من ذوات الواو . والبصريون يكتبون بالألف . فنظر المبرد فى ذلك المصحف فقال : ينبغى ان يكتب (والضحى) بالألف لأنه من ذوات الواو . فجمع ابن طاهر بينهما . فقال المبرد لثعلب : لم كتبت والضحى بالياء ؟

قال : لضمة اوله

قال : ولم إذا ضم اوله ـ وهو من ذوات الواو ـ تكتبه بالياء ؟

قال : لأن الضمة تشبه الواو ، وما اوله واو يكون آخره ياء ، فتوهموا أنه اوله واو

فقال المبرد : افلا يزول هذا التوهم إلى يوم القيامة ؟ !

٦٦ — سرة الدنيا ، العروة الوثقى

فى (البدر الطالع) للشوكانى :

خرج بيبرس العثمانى الجاشنكير الملك المظفر للحج بعد سنة (٧٠١) وصحبه كثير من الأمراء ، فحج بالناس فصنع من المعروف شيئاً كثيراً . ومن محاسنه أنه قلع المسمار الدى كان فى وسط الكعبة وكان العوام يسمونه (سرة الدنيا) وينبطح الواحد منهم على وجهه ، ويضع سرته مكشوفة عليه . ويعتقد أن من فعل ذلك عتق [1] من النار وكان بدعة سيئة ، وكذلك أزال الحلقة التى يسمونها (العروة الوثق) .

(١) عتق لازم ويتعدى بالهمزة . والعبد عاتق وعتيق ومعتق ولا يجوز معتوق وهى عتيق وعتيقة .

٦٧ — وكيف لا تطرب عوديه

القيراطى :

تنفس الصبح فجاءت لنا من نحوه الأنفاس مسكيه
وأطربت فى العود قمرية وكيف لا تطرب عوديه ؟

٦٨ — الطبع والتمرين

فى (الخصائص) لابن جنى :

قرأ السجستانى : قرأ علىّ اعرابى بالحرم : (طيبى لهم وحسن مآب) فقلت له : طوبى ، فقال : طيبى ، فقلت : طوبى فقال : طيبى . فلما طال على قلت : طوطو ، فقال طى طى

أفلا ترى إلى هذا الأعرابى وأنت تعتقده جافياً كزا ، لا دمثاً ولا طيعا كيف نبا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء ، فلم يؤثر فيه التلقين ، ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هزولا تمرين

٦٩ — والقوم أغصان

حضر الشاعر ابن القيسرانى مرة فى سماع ، وكان المغنى حسن الغناء ، فلما طربت الجماعة وتواجدوا [1] قال :

والله لو انصف العشاق أنفسهم فدوك منهم بما عزوا وماهانوا
ما انت حين تغنى فى مجالسهم إلا نسيم الصبا والقوم اغصان

٧٠ — الخبز والبقل

فى (فتوح البلدان) للبلاذرى :

قال كثير بن شهاب يوماً : يا غلام ، أطعمنا .

فقال : ما عندى إلا خبز وبقل

فقال : وهل اقتتلت فارس والروم إلا على الخبز والبقل ؟؟

(١) فى (تعريفات) الجرجانى : التواجد استدعاء الوجد تكلفا بضرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجد . وفى الاساس : وله بها وجد وهو المحبة . وتواجد فلان أرى من نفسه الوجد

ميــلاد الرسول

للأستاذ محمد الأسمر

فجرٌ أطلَّ على الوجود فأطلعا
شمسين: شمسَ سناً، وشمس هدًى معا

ظلّتْ مطالع كل شمس لا ترى   من بعدِه شيئاً كمكةَ مطلعا
قبس من الرحمن لاح فلم يدعْ   لألاؤه فوق البسيطة موضعا
ما كان ميلادُ الرسول المصطفى   إلا الربيعَ نضارة وتضوعا
يوم أغر كفاكَ منه أنه   يوم كأن الدهر فيه تجمعا
ويكادُ غابرُ كل يومٍ قبله   يثنى إليه جيده متطلعا
فلو استطاع لكرَّ من أحقابه   وثباً على هام السنين ليرجعا
كادُ مقبلُ كل يوم بعده   ينسل من خلف الزمان ليسرعا
فلو استطاع لجاء قبل أوانه   وانساب يخترق السنين وأتلعا
تتنافس الأيام فى الشرف الذى   ملأ الوجود فلم يغادرْ أصبعا
خير أفاض الله منه على الورى   أنى جرى ترك الجناب الممرعا
وسناً جلاه لتعمُرَ الدنيا به   من بعد ما كانت خراباً بلقعا
وافى وليلُ الجاهلية مُطبق   فانجاب عن جنباتها وتقشعا
وكذا الهداية إن قذفتَ بها على   ركن الغواية والضلال تصدعا
نادى إلى الحسنى فلما أعرضوا   واستكبروا اشرَعَ الرماح فأسمعا
والحقُّ أعزلَ لا يروعُ فإن بدا   مستلئماً لاقى الطغاة فروّعا
والحقُّ أخفى ما يكون مجرداً   وتراه أوضحَ ما يكون مُدرّعا
والحقُّ ليس بمعتد لكنه   إن دافعته يدُ الضلال تدفعا
مثل الرياح جرت رُخاء ثم لم   تلبثْ فهبّتْ بعد ذلك زعزعا
بعض الأنام إذا رأى نور الهدى   عرَف الطريقَ ولم يضلَّ المهيعا
ومن البريّة معشرٌ لا ينتهى   عن غيّه حتى يخاف ويفزعا

* * *

إن الرسولَ محمداً صبحٌ بدا   من راح يعثُر فى سناهُ فلا لعا
وافى بها بيضاءَ عدل كلها   لا تلفينَّ بها الضعيفَ مُضيّعا
الناسُ كلهمُ سواسية بها   لا (قيصرا) تلقى بها أو (تبّعا)
دخلت على الجبروت وهو مُقطّب
صلَفاً فأبصر وجهها فتفزعا
وأبى له حبّ البقاء وطبْعُهُ   إلا الصِيالَ فصاولتْ فتضعضعا
(الفرسُ) و (الرومانُ) لم يعصمهما
مُلكُ الممالك كلها أن يُصرَعا
من لم تزعزعه العواصف قبلها   بعثت له بنسيمها فتزعزعا
ثلت عروش الظالمين ومُلكهم
وبنت لعرش العدل مُلكاً أوسعا
وجرى العباد على السجيّة سُجّدا   لله، لا لمُسخّريهم، رُكّعا
وتراهمُ حول النبىّ فلا ترى   مُتملقاً أو خائفاً متخشّعاً
دينُ المساواة الصحيحة دينه   يرعاهمُ فى الله أشفق من رعى
جاءت له الدنيا فأعرض زاهداً   يبغى من الأخرى المكان الأرفعا
ما جرَّ أثواب الحرير ولا مشى   بالتاج مِن فوق الجبين مُرصّعا
من ألبس الدنيا السعادة حُلّة
فَضفاضة، لبس القميص مُرقّعا
وهو الذى لوْ شاء نالت كفه   كلّ الذى فوق البسيطة أجمعا
لم يبغها مُلكاً عضوضاً بل دعى
لله. لا لسواه أفضل من دعى

* * *

يا مصطفى أدعوكَ دعوة شاعر   وافى إليك بشعره متشفعا
هب لى من النفحات ما أشفى به   نفساً معذبة وقلباً موجعاً
فلعلَّ صدراً أن تزول همومه   وعليلَ قوم أن يصح وينفعا
ولعل ذابلة الرجاء ينالها   بلل من الغيث العميم فتينعا
صلى عليك الله جل جلاله   دنيا وأخرى شافعاً ومشفّعا

محمد الأسمر

هدية الشاعر للشاعر

أهدى الأستاذ عبد الله حبيب إلى صديقه الأستاذ أحمد رامى زهرة ومعها هذان البيتان:

قطفتها فى صبحيَ الباكر   هدية الشاعر للشاعر
فانعم بها إذ أنت أولى بها   من كل من مر على خاطرى

فتقبلها شاعر الشباب وأجابه بهذين البيتين:

يامهدياً من زهرك العاطر   آنست روحى بالجنى الباكر
ذكرتنى والصبح فى مهده   وأنت مرسوم على خاطرى



شبابنا والسياسة

تدعو الرسالة الشباب دعوة حرة جريئة إلى العمل السياسى ، وقد يعجم على بعض الناس غرض الرسالة من دعوتها ، ويَنْبَهِم عليهم وجه الحق والمصلحة فيها .

وإنما تريد الرسالة ونريد معها شباباً مطبوعاً على الوطنية قد سرت فى دمه مسرى الدم الحار فى عروقه ، وتشبعت بها روحه واستَبْطَنَتْها نفسه ، فصارت جزءا منها لا وطنية مصطنعة زائفة تلبس وتخلع كالرداء .

نريد شباباً غزلا كلفاً صباً لا بالحور الحسان والخرد الغيد ، ولكن بحب مصر . نريد منهم وطنية تفيضها الغريزة لا تكلف فيها ولا تعمّل ، تنتقل بقانون الوراثة من الأجداد إلى الأحفاد كما تنتقل مميزات الشعوب الراقية من السلف إلى الخلف : أى نريدها خلقاً لا حرفة .

نريدها وطنية طاهرة نقية كنفوس الشباب لم تلوثها جراثيم المنفعة ولا أرجاس الأهواء والشهوات ، تسمو سمو المثل العليا لا تسف بالتطبيق المحرف الخاطىء .

نريدها وطنية عامة شاملة تسع الدولة والمواطنين وتسوى بينهم ، لا وطنية ضيقة العطن محدودة المدلول محصورة بالأحزاب والأشخاص . يجب أن ينبلج الصبح على أعين نفر من النفعيين يحرمون على الشباب الاشتغال بالسياسة كأن السياسة حرفة لا تحترف إلا بترخيص . يجب أن تحشد جميع قوى الأمة لمصلحة الأمة فيعمل الكل فى حقل الوطن لينتج للوطن .

إن الحياة صراع وغلاب ولا سيما فى عصر الكهرباء والكيمياء واللاسلكى ، فليس من سداد الرأى ولا من بعد النظر أن تحيا الأمة عالة على زعمائها ؛ وليس معنى هذا ألا يكون للشعب زعماء ، ولكننا ندعو كل فرد أن يكون بنفسه دائرة كهربائية تامة ، فاذا ما وصل بينها واجتمع شتيتها ووجهتها زعامتها الرشيدة كانت قوة لا تغلب

إن نظرة فاحصة إلى ألمانيا وإيطاليا وتركيا تؤيد ما نقول ، فانك لا تسمع اسم إحداها إلا وتصورتها كتلة واحدة من القوة مندفعة نحو غايتها كأنها قنبلة انطلقت من فوهة مدفع ، وإن دخانها وجلجلة صوتها وصخب قصفها لكاف فى شق طريقها وتعبيد مسراها بله كتلتها وجرمها

نريد شباباً يفهم ما يريد ، ويعمل ما يفهم ، ويحمى ما يعمل ، ويحب ما يحمى ، ويضحى بدمه وروحه فى سبيل ما يحب

نريد هذا الشباب الذى يحول التاريخ إلى الوجهة التى يجب أن تكون وجهة العز والكرامة ، الشباب الذى يعمل تاريخ جيله بقصد وتعمد ، لا الشباب الذى يقف من تاريخ جيله على الحياد ويدع الظروف والمؤثرات تكتب هذا التاريخ

نريد جيلا صلباً متعصباً سليما من المرونة والرخاوة يقف كالشلال ، لا جيلا خفيفاً كالخشبة الطافية على سطح الماء يقذف بها أنى شاء وكيف شاء . نريد أن نكتب كما كتبنا أسطع السطور فى سجل تاريخ الانسانية الخالد !

عبد العزيز بيومى غفارى

بالقايات

واجب الكتاب والمفكرين

... ... رئيس تحرير الرسالة

أشكر للرسالة الغراء اهتمامها بتوجيه الشباب إلى الغاية المثلى فى عهدنا الحديث ، وأؤيد بقلبي ويدى أخي الشاب الذى اقترح (زحف الشباب الاجتماعى) ولكنى أشعر بأن الشباب حين يبدأ العمل سيعمل من غير خطط ولا رسوم ولا تقارير ولا أدلة . فقد كان من الواجب على الكتاب والمفكرين وهم الأطباء الاجتماعيون أن يشرحوا أدواء الأمة شرحاً دقيقاً فى كل ناحية من نواحى الحياة ، ثم يصفوا العلاج ويجعلوا التمريض والتنفيذ على عواتق الشباب . فاننا إذا استثنينا الفصول التى تكتبها الآنسة الأديبة (ابنة الشاطىء) فى أحوال القرية وبؤس القرويين لانكاد نجد كاتباً واحدا درس حالة من أحوال الأمة . ليقم الطبيب والمهندس والزراعى والأديب بدرس هذه الأحوال كل فى دائرة اختصاصه حتى يعمل العامل عن خبرة ، ويتقدم الدليل عن هداية ، وبذلك تقوم الجهود على أساس قوى ومنهاج واضح ونظام صحيح ...

مصطفى كامل
المحامى

(المحرر) ملاحظة الأستاذ الكاتب سديدة ، فان نهضتنا الأدبية قد بدأت بإحياء آثار السلف فعرفنا عن القديم أكثر مما نعرف عن الحديث ؛ ثم انصرفت إلى النقل عن الغرب فعلمنا عن أوربا أكثر مما نعلم عن مصر ؛ وظلت قوانا مجهولة لم تكشف وعللنا مدفونة لم تعرف . واقتصر كتابنا على معالجة بعض المسائل السهلة من طريق القصة أو الصورة ووقف زعماؤنا عند المقالات الصحفية التى تنطوى مع اليوم والخطب السياسية التى تذهب مع الساعة . إنا نريد كما قال الكاتب الفاضل كتباً تعالج المسائل العامة عن اختصاص ودرس ، وترسم المناهج الاصلاحية عن دراية وخبرة وتبرز ما دق عن الشعور من آفات المجتمع فى جلاء وصدق . فهل تتجه أفكار الكتاب ، إلى ما اتجهت إليه رغائب الشباب ؟

اهتمام الشباب بالشؤون العامة

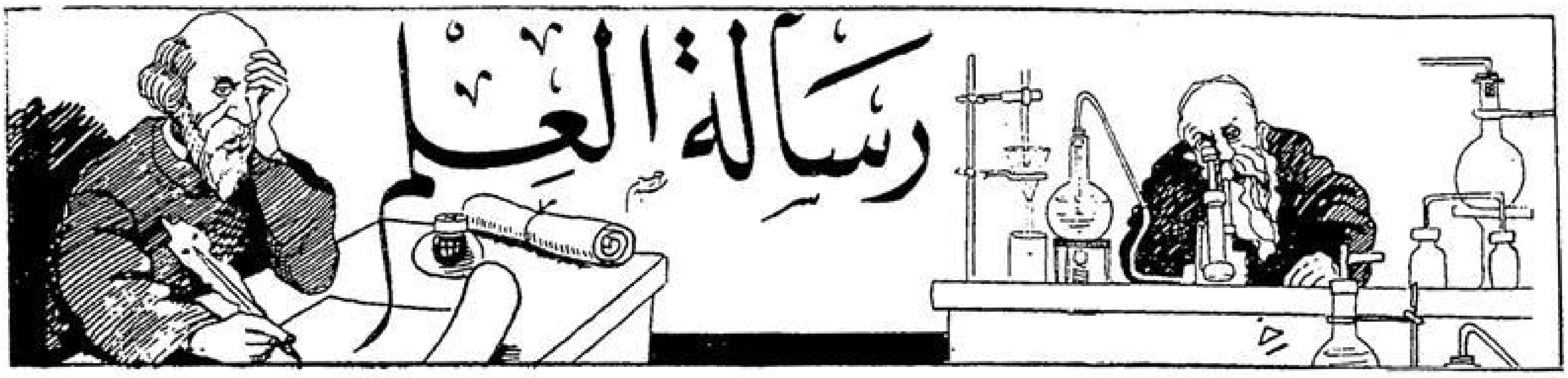
... محرر صحيفة الشباب

كان لما كتبتموه فى هذه الصحيفة عن ضرورة اهتمام الشباب بالشؤون العامة أثره البليغ فى نفسى . فقد حملنى ذلك على أن أفكر فى غفلة الشعب عن الأمور العامة وحصره كل أفكاره وأعماله فى دائرة عمله اليومى ، فوجدت أن واحداً فى الألف هو الذى يتتبع مجارى الأمور ، ويعنى بشؤون مواطنيه وسياسة وطنه ، وربما تجد قرى بأسرها لاتقرأ جريدة ولا تتصل بالعالم . وكل ما يهم الفلاح هو زراعة أرضه وأسعار محاصيله . ومن الصعب أن يتكون فى الأمة رأى عام محترم إذا بقى حال الأفراد على هذه الحال فدخول الشباب المثقف فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية بالدعوة والارشاد يفتح عيون العامة على الحياة الصحيحة فتتسع أفكارهم ، وتبعد آمالهم ، وينشأ فيهم الطموح إلى الأحسن ، والنزوع إلى الأكمل ، والشعور بأن الوطن وطنهم والحكومة حكومتهم ، فاذا قدموا أبناءهم إلى العسكرية قدموهم مغتبطين لأنهم يدافعون عن أنفسهم ؛ وإذا أدوا الضرائب أدوها راضين لأنهم ينفقون على مصلحتهم . وقد لمست أثر دعوتكم فى نفسى فأصبحت أقرأ صحيفتى اليومية بروح جديدة واهتمام قوى

كنت آخذ الصحيفة فأمر على عناوينها مرا لأتخير ما يستفز اهتمامى من أمور قد لا تتعدى مسألة اليوم وأخبار الملاهى والسينما ، وهأنذا اليوم أحرص على تتبع الشؤون الداخلية كرجل ذى علاقة وثيقة بها . فأصبحت أقرأ أخبار المصالح المختلفة وكأنها تهمنى مباشرة ، وأمسيت أتتبع مناقشات البرلمان . ولا أكتمك أنى حين قدمت الميزانية إلى المجلس كنت وأنا أقرأ مقدمة وزير المالية أتخيل نفسى زعيم المعارضة فأقرأها وأناقشها ، فلما قرأت رد المعارضين تصورت نفسى وزير المالية فرحت أحاول الرد عليها وتبرير موقفى . وهكذا حالى مع كل مايجد فى البلد من أحوال وأخبار

هذه آثار دعوتكم فى نفسى ولعل أثرها يكون فى اخوانى الشباب أبلغ مدى وأعمق أثرا ... ...

(الجيزة) **مختار يونس**



قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى بك
مدير مصلحة الكيمياء

وكان يضحك كلما جاء النبأ بأن بعض أعوانه يقول عنه إنه مخبول، كان فى كل حجرة من هذا البيت وفى كل مكان، ولكنك دائماً مستطيع معرفة مكانه وحصره فى الناحية التى هو فيها وذلك من صوته الذى لا يفتأ يتردد ينادى فى الردهات: «يا قدريت ... يا قدريت! أين سجائرى ... هات مائى المعدنى ...!»

— ٥ —

وخاب أمر الاصباغ خيبة كبرى، وجرى الحديث تمتمة بين الكيمائيين أن إرليش رجل غبى لا يفهم، ولكن يجب أن تذكر دائماً أن إرليش كان يقرأ الكتب، فذات يوم كان جالساً فى مكتبه على كرسى خلا مصادفة من الكتب التى تراكمت عليه وعلى غيره، وكان يقرأ فى المجلات الكيماوية كبعض قدماء الحكماء يبحثون عن حجر الفلاسفة، فاذا به يقع على عقار من أخبث العقاقير. وكان اسمه أتكسيل Atoxyl ومعناه غير السام، وكان هذا العقار شفى الفئران من مرض النوم، أو كاد؛ وكان قتل فيرانا ليس بها مرض النوم؛ وكان قد جُرب فى بعض أهل السواد فى أفريقا عسى أن يشفيهم من مرض النوم فلم يشفهم، بل أصاب عدداً وفيراً منهم بالعمى فتم عماهم قبل أن يدركهم الموت من دائهم. فهذا عقار مروع لو أن مركبه كان حياً لاختزى منها واستبرأ. وكان تركيبه من حلقة بنزين، وهي مكونة من ست ذرات من الكربون قامت فى حلقة كالخاتم كأنما يطارد بعضها بعضاً فى دائرة كالكلب يدور حول نفسه يريد أن يعض ذيله؛ ويتركب عدا ذلك من اربع ذرات من الادروجين، وشىء من النشادر، وبعض أكسيد الزرنيخ، وهذا الأخير يعلم الناس أنه سم زعاف.

قال إرليش: «علينا أن نغير من تركيب هذا العقار قليلا»

قال هذا وهو يعلم أن الكيمائيين الذين ابتدعوه قالوا إنه تركب بحيث أن أى تغيير يلحقه يفسده؛ ولكن إرليش لم يستمع لما قالوا، وظل يقضى بعد ظهر كل يوم فى معمله وحده يبذل فى العمل كل نشاطه. وكان معملا ليس كمثله معمل فى الدنيا فلم يكن به معوجات ولا كؤوس ولاقنينات ولا ترمومترات ولا أفران، حتى ولا ميزان واحد. كان فى فقره كمنضدة صيدلانى بقرية يمزج عليها ما يطلب إليه من بسائط الأدوية عند فراغه من مكتب البريد الذى يتولى إدارته أيضا (١). فان كان بينهما فرق فهو فى أن معمل إرليش كانت فى وسطه منضدة كبيرة جداً ترصصت عليها صفوف وصفوف من قنينات، قنينات عليها أوراق باسمها، وقنينات ليس عليها اسم لها، ثم قنينات عليها أسماء لا تقرأ من سوء ما كتبت أو بما سال على ظواهرها من بواطن القنينات من أصباغ قرمزية طمست أسماءها. ولكن إرليش وعى كل تلك الأسماء برغم هذا. ومن وسط أحراج الزجاجات هذه خرج رأس مصباح بنسن (٢) واحد يبعث فوق أرؤسها بلهبه الأزرق. فأى كيميائى لا يضحك من هذا المعمل؟

---

(١) فى بعض القرى الاوروبية يقوم القائم باعمال البريد باعمال أخرى كالصيدلة أو البقالة ونحوها وذلك فى نفس مكتب البريد وهو أشبه بدكان (المترجم)

(٢) مصباح بنسن هو مصباح غاز استصباح يتخذ فى المعامل للتسخين

وفى هذا المعمل لعب إرليش بعقاره أتكسيل. وكم صاح وهو يعبث به: «هذا جميل»! «هذا بديع»، «هذا فوق التصديق»، وهو أثناء ذلك يملى على الآنسة مَرْكَرْت Marquardt، ويأطول ماصبرت، أو يصرخ إلى السيد قدريت فى طلب هذا أو ذاك. وشاءت الأقدار أن تمنحه ذكاء كيماويا شاذاً تمنحه البحاثَ أحيانا ممن ليس فى مقدورهم بالطبع أو بالتطبع أن يكونوا كيماويين، فاذا به يجد أن هذا العَقار قابل للتغيير، لا قليلا بل كثيراً، وأنه يمكن تشكيله أشكالا عدة لم يُسمَع بها من قبل، دون أدنى مساس بما بين الزرنيخ وحلقة البنزين

«أنا أستطيع أن أغير الأتكسيل». وخرج يهلع بلا قبعة ولا معطف إلى معمل برْتَهايم Bertheim، معمل كيميائيه الأول أو رئيس أرقائه، وصاح فيه: إن الأتكسيل يمكن تغييره؛ ولعلنا نستطيع تغييره إلى مائة مركب، أو إلى ألف مركب من مركبات الزرنيخ. وهاك كيف يكون هذا «ياعزيزى برتهايم». وأخذ يشرح ألف طريقة لإحداث هذا التغيير. فماذا صنع برتهايم؟ بالطبع انصاع، وكيف يستطيع أن يقف جامداً أمام «ياعزيزى برتهايم»؟

وجاءت سنتان اشتغل فيهما كل من فى المعمل من المانيين ويابانيين، ومن بعض اليهود، وكل من فيه وما فيه من رجال وفئران، غير ناسين الآنسة مَرْكَرْت Marquardt ولا الآنسة ليوبلد Leupold، وغير ناسين السيد قدريت بجلال قدره. اشتغلوا جميعاً وكدحوا كدحاً، وأجهدوا أنفسهم إجهاداً، فى مثابرة ومصابرة، حتى صار المعمل كبعض مصاهر الجن يعمل فيها كل عفريت مريد. وفيه جرّبوا هذه المادة، ثم هذه، حتى بلغ ما امتحنوه من مركبات الزرنيخ ٦٠٦ مركب وقعوا جميعاً تحت تأثير عفريتهم الأكبر، فلم يفرغ أحدهم ليفكرَ فى بطلان ما يصنعون، وفى استحالة ما يطلبون، وهو قلب الزرنيخ من سم معروف مُحبَّب لدى كل مجرم قاتل، إلى دواء وشفاء لم يجزم أحد بجواز وجوده، لداء لم يحلم إرليش أبدا بجواز شفائه. نعم وقع هؤلاء الأرقّاء جميعاً تحت تأثير ارليش فكدحوا على نمط لا يجرى عليه الرجال فى كدحهم إلا إذا حفزهم اليه رجل متعصّب عصىّ مثله، رجلٌ خدد العزم جبهته ورقق حب الخير من عينيه

وغيروا الأتكسيل! واشتقوا من تركيبه مركبات زرنيخ عجيبة شفت الفئران فعلا. ويكادون يصيحون صيحة الفرح والنصر، ولكن الحظ يدير لهم ظهره فيجدون أن المكروب الفظيع، مكروب داء الورك، يذهب حقاً من الفئران، ولكن الزرنيخ يحيل دماءها الثخينة إلى سائل رقيق، أو هو يصيبها بالصفراء فتقتلها ... ... ومن أدوية الزرنيخ هذه ما جعل الفئران ترقص رقصاً، فهل تصدق هذا يا صاحبي! نعم جعلتها ترقص رقصاً، ولم ترقص دقيقة ثم تسكن، بل تدور ثم تدور، وتنط ثم تنط طول حياتها. عذاب مرير لها بعد شفائها من دائها ما كان يخطر على بال الشيطان لو أراده. ضاع الأمل فى الدواء الكامل، وأى أمل لا يضيع بعد الذى كان. إلا أمل إرليش. كتب يقول: إنه ليسرنا أن نجد أن الضرر الوحيد الذى أصاب الفئران من الدواء أنه قلبها فصارت فئراناً راقصة. والذين يزورون معملى سيد .ون لكثرة ما يجدون فيه من الفئران الراقصة ...، فأى رجل ملىء بالأمل والحياة!

واصطنعوا مركبات لا حصر لها؛ وكان جهادهم فى كل هذا جهاد المستيئس المستبسل حين لا أمل ولا رجاء. وطلع لهم فيما طلع أحجية غريبة: وجد إرليش أن جرعة الزرنيخ الكبيرة يعطاها الحيوان دفعة واحدة تكون خطرة على حياته فجزأها إلى أجزاء صغيرة وأعطاها إياه وزجا الخير من بعد ذلك، ولكن النحس تبعه بالخيبة، فالتريبنسومات اعتادت بالتدرج على الزرنيخ فتمنعت عليه ورفضت أن تقتل به. والنتيجة أن الفئران مشت إلى فنائها أفواجاً أفواجا

فهذا ما كان مآل المركبات الكيماوية الزرنيخية الخمسمائة والخمسة والتسعين الأولى، تتابعت جميعا يحدوها الرجاء، وانتهت جميعا إلى نهاية واحدة متكررة فاشلة تسقط لها القلوب فى الصدور، ولكن بول ارليش ثبت على ابتسامته، وظل ينعش نفسه بأقاصيص يخترعها عن دواء جديد مؤمَّل منشود. وعلِمَ الله وأكدت الطبيعة ما كانت إلا أقاصيص أكاذيب لا تحتمل نقداً ولا تجيزها طبائع الأمور. وأخذ

يرسم الرسوم لبرتهايم ورجاله ، رسوما خيالية لمركبات زرنيخية علوا فى قرارة أنفسهم وهم الخبراء أنها لن تكون . وظل يرسم لهم ثم يرسم ، وهم يعلمون من الكيمياء فوق ماعلم حتى ملأ بمخطوطاته أوراقاً لاعدّ لها . ورسم لهم فى المطاعم على جداول المأكولات ، وفى الخمارات على جداول المشروبات . وهال رجاله فقدانه الحسّ بما بين الممكن والمستحيل ، ولكنهم عدّتهم حماسته التى لاتحدّ ، وجموحه الذى لا يُردّ ، وعناد البغال الذى لاتنفع معه مجادلة أو مسايسة . قالوا : « ماأجمل تحمسه وتحرقه ! » ، وتحرقوا مثله . وانتهى إرليش بأن استنفد كل ماعنده من جهد ، وأحرق شمعته من طرفيها ، حتى بلغ أمله المنشود ، وطلع عليه يومه الأسطع المامول ، وذلك فى عام ١٩٠٩

— ٦ —

أشعل شمعته من طرفيها ، وفعل مافعله طارق حين حرق سفائنه ، لأنه كان قد فات الخمسين ربيعاً ولم يبق من عمره غير القليل القصير . وبذلك عثر على المركب الشهير برقم ٦٠٦ . واعلم أنه ماكان بمستطيع إيجاده لولا معونة خبيره العالم برتهايم . وهو مركب استخدم فى تركيبه كل حذق الكيمياء ، وركب فى جو مخطر لكثرة ما يملؤه من أبخرة الأثير ، وهى أبخرة تنذر فى كل وقت بالتفرقع والحريق . وهو عدا هذا مركب حساس سريع التلف يحيله القليل الذى يمسه من الهواء من دواء معتدل التأثير إلى سم بالغ المفعول قتال

هذا هو المركب الشهير رقم ٦٠٦ ، وهو يستمتع باسم طويل : فانى أكسى ثانى أمينو أرسينو بنزول ثانى هيدروكلوريد . وكان غلوّه فى الفتك بالتريبنسومات كغلوه فى الطول ، فحقنة واحدة منه تكسح دم الفأر كسحاً من كل ما به من تريبنسومات داء الورك فلا تترك واحدة منها تحكى للخلف أخبار السلف . وهو عدا ذلك كان مأموناً جداً برغم أنه مُثقل بالزرنيخ ، ذلك السم المختار المحبب إلى كل قاتل أثيم . وهو لم يُعْمِ الفئران ، ولم يَحُلّ دمهم فيرق ، ولم يُرقصهم رقصة العذاب المذكورة ، واختصاراً كان عقاراً مأمون الضرر محقق النفع

قال قدريت بذكر هذه الأيام بعد فواتها بزمن طويل : «تلك كانت الأيام» . «وما كان بالشاب عندها ، فقد كان سبق الكبر إليه فصلب من عوده ، وذهب بالمرونة من عضلاته ، ولكنه ظل يدب وراء « الأستاذ » يُغنى به ويسد من طلباته . قال قدريت « تلك كانت أيامنا أيام كشفنا عن رقم ٦٠٦ ، وأىّ والله تلك كانت الأيام ! وأىّ أيام أصابتها ما أصابت هذه من الحمى ، وأى أيام حظيت من الجنون والعمل الخابط الراقع الجموح بمثل ما حظيت به هذه ؛ اللهم إلا أيام بستور Pasteur » . وصار رقم ٦٠٦ يشفى من مرض الورك فتطيب منه الفئران وأعجاز الخيول ، ولكن ماذا بعد هذا ؟ وهنا يدخل الحظ فى تسيير الأمور ، فيذكر إرليش نظرية قديمة خاطئة كان قرأها لرجل ألمانى عالم فى الحيوان اسمه شَوْدِين Schaudinn . قرأ إرليش فى عام ١٩٠٦ أن شودين اكتشف مكروباً لولبياً رفيعاً باهتاً أشبه شىء ببريمة الفلين ، ولكن دون يدها ؛ وكان اكتشافاً باهراً هذا الذى اكتشفه شودين . وَوَدِدْتُ لو اتسع المقام لأحدثكم عن هذا الرجل وعن تعصبه وعن شربه الخمر وإسرافه حتى تتراءى لعينه غرائب الأطياف والخيالات . وسمى هذا المكروب إسبيروشيتا باليدا Spirocheta pallida ، وأثبت أنه سبب الداء الرذيل المعروف بالزهرى

لم يفت إرليش ، وهو القارىء كل شىء ، أن يقرأ هذا الاكتشاف ، ولكن رسخ فى ذاكرته أكثر من كل شىء أن شودين قال : « ان هذا المكروب الباهت يدخل فى نطاق المملكة الحيوانية ، فهو ليس من مملكة النبات كالبكتريا . والحق أنه قريب الصلة بالتريبنسومات ، وقد ينقلب إليها أحيانا

بالطبع هذا لم يكن غير حدس وتخمين رمى به خيال شودين رمياً ، ولكنه فعل بعقل إرليش الأفاعيل . قال إرليش : « إذا كانت الاسبيروشيتات بنات عمات التريبنسومات إذن فمركب رقم ٦٠٦ لابد قاتل الأخيرة كما قتل الأولى » . ولم يُعن إرليش أقل عناية ، أو يعكر صفو مزاجه أقل تعكير ، تلك الحقيقة الواقعة وهى أن أحداً من الناس لم يثبت قط أن هذه المكروبات بنات عمات . وما مثله من يعنى بمثل ذلك ... ومن هذا مشى قدماً إلى يوم مجده الأكبر

(يتبع)

احمد زكى



ليوناردو دافينشي

الرجل الكامل

للدكتور أحمد موسى

— ٢ —

أما المرحلة الثانية من حياته فقد بدأت عند ما استدعاه الدوق لودوفيتشو سفورزا للتوجه سنة ١٤٨٣ إلى ميلانو . وهناك استمتع بأجمل أيام حياته ، لأن الدوق نظر اليه نظرة الرجل المؤثر الذى يقدر الفن ويجله ، نظرة الرجل الذى يعلم بأنه لا معنى للحياة بدون الفن ، فاذا كان الدوق غنياً ومقدراً للفن ، فهذا معناه أن ليوناردو قد وفق الى وجود الشخصية التى تعمل على تشجيعه ومعرفة قدره ، فعمل بكل قواه على إظهار مواهبه ، فكان معماريا ومهندساً وعالما ومشجعا للأكاديمية كما كان نحاتاً ومصورا .

وله فى هذه المرحلة لوحات رائعة منها صورة الدوق وصورة لعائلته ، ولوحات لبعض رؤوس غاية فى القوة والجمال .

وأهم أعماله فى هذه المرحلة ، بل وفى حياته كلها صورته المعروفة « العشاء الأخير » والمحفوظة بدير القديسة ماريا فى ميلانو . صورها فى سنتين ، وهى للأسف فى حالة غير مرضية الآن ، ولكن لحسن الحظ أن منها جملة لوحات مقلدة متقنة ومعاصرة لها . وهذه اللوحة تمثل المسيح ، وقد توسط تلامذته الاثنى عشر مجتمعين حول مائدة بعضهم جالس والبعض الآخر واقف ، وأمامهم الخبز والاطباق وأكواب الشراب . قال المسيح لتلامذته : « إن أحدكم سيسلمنى ! » فما كان من تلاميذه إلا أن اتجه بعضهم إليه وبعضهم إلى بعض متسائلين مستفسرين ، متألمين خائفين ، تمثل الوجد على وجه كل منهم ، فبعضهم أشار بأصبعه ، والبعض أشار بيديه .

أنظر إلى ش – ٢ – وتأمل القوة الانشائية والاخراج العظيم ترى الوجوه الثلاثة عشرة مختلفة الوضع والتفاصيل والتكوين الكلى ، والحركة البادية والمعنى الذى يعبر عنه كل منهم فى منتهى الرقة والحسن .



العشاء الاخير ، بميلانو – سانتاه ماديا دى لاجراتسيا

أما التوازن البادى على مجموعهما الشكلى والوضعى فهو عظيم وأما اختلاف التكوين الجسمانى لكل منهم ، واختلاف الطريقة التى يجلس أو يشير بها، فهى رائعة ، لأن هذا الاختلاف لم يذهب بك إلا إلى منتهى حسن الانسجام وكمال الاندماج .



موناليزا ـ متحف اللوفر

أنظر إلى الأيدى ، وتأمل الأكف التى استطاع بها ليوناردو اخراج ست وعشرين يداً ، لاترى منها واحدة تشبه الأخرى ، أليس هذا منتهى ما يطمح اليه فنان ؟ لم يترك ليوناردو الحوائط دون تحلية ، ولم يفته أن يصور لك منظراً ظهرت بعض أجزائه من خلال الباب والشباكين فى مؤخر للصورة . فكأن هذه القطعة لم تخلد مجد ليوناردو فحسب ؛ بل هى لوحة من اللوحات الخالدة الفذة فى تاريخ الفن كله .

وبدات المرحلة الثالثة من مراحل حياته عند ما غادر ميلانو سنة ١٤٩٩ متنقلا حتى وصل البندقية (١٥٠٣-١٥٠٦) ثم فلورنسوا (١٥٠٦ - ١٥١٦) ثم غادرها إلى فرنسا لخدمة الملك فرانس الأول سنة ١٥١٦ وعاش فى قصر كلو حتى وفاته فى ٢ مايو سنة ١٥١٩ بعد بلوغه السابعة والستين .

وقد أنتج فى هذه المرحلة لوحات كثيرة أيضا ، منها لوحة القديسة أنا ، والقديسة مريا ، وعيسى ويوحنا بأكاديمية لندن ، وكلها برؤوس هائلة رائعة ، امتزج فيها الظل بالنور امتزاجا لا يستطيعه إلا ليوناردو . وبعض هذه الصور كان على الكرتون الذى خصصه لتصميم رسم لعمل الفسيفساء فى بيت البلدية بفلورنسا منها قطعة أسماها مذبحة انجيارى . وقد فقدت هذه الكارتونات ما عدا القطعة الوسطى منها التى مثلت المقاتلة على العلم ، وهذه القطعة ش ـ ٣ ـ قد نقلها الفنان روبنز (راجع الرسالة بتاريخ ٣ يناير سنة ١٩٣٧) عن الأصل وهى محفوظة باللوفر .

والناظر اليها يرى العنف والشدة يتمثلان فى كل جزء من أجزائها ، ولعلنا نستطيع أن نعرف أثر الفن الاغريقى فى ليوناردو وعند ما نتذكر تلك الصور التى شملها مقالنا عن منحوتات معبد بارتنون (اكروبوليس أثينا) .

وله لوحة هى أجمل ما صوره دون منازع ، ألا وهى « موناليزا » محفوظة باللوفر ، ولا يمكن مهما حاولنا الوصف أن نقدر جمال هذه القطعة ش ـ ٤ ـ دون مشاهدتها فى الأصل بألوانها الطبيعية الخلابة التى تمثل الجمال الايطالى فى أسمى مظاهره انظر إلى ابتسامتها الساحرة الخالدة التى تجذب إليها المشاهد الراغب فى الجمال النبيل .



صورة خطية لسيدة ـ جالبرى أوفيزى

وله غير ذلك لوحات فذة الى جانب لوحاته الخطية بالقلم الرصاص وهى ايضا من أروع ما يمكن تصويره اطلاقا ، منها جزء محفوظ باللوفر وفينيسيا وميلانو .

احمد موسى



معهد للدراسات الاسلامية بالجامعة المصرية

قرر مجلس إدارة الجامعة المصرية أن ينشىء معهداً جديداً للدراسات الاسلامية يلحق بكلية الآداب : وقد نص فى مشروع تنظيم هذا المعهد الجديد أن الغرض من انشائه « تمكين الأساتذة والطلاب من العناية المنظمة بالعلوم الاسلامية من طريق الدرس والبحث ونشر النصوص القديمة . ومن طريق التأليف والترجمة أيضاً ، وتبيين مدى ما كان من صلة بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية » ؛ وأما العلوم التى ستدرس فى هذا المعهد فهى القرآن الكريم وما يتصل به من العلوم ، والحديث وما يتصل به ، والفقه وأصوله ، والتاريخ الاسلامى وعلومه ، واللغة العربية وعلومها وصلتها بالدين الاسلامى ، واللغات الشرقية الاسلامية وآدابها من حيث صلتها بالدين الاسلامى . وسيعتبر المعهد من المعاهد العالية ولا يلتحق به إلا من يحمل ليسانس الآداب ، أو مايعادلها . ومدة الدراسة فيه سنتان ، وسيجرى على قاعدة التخصص ، فيتخصص الطالب فى إحدى المواد المذكورة ويتقدم إلى نيل الدبلوم برسالة فى مادته .

وهذه خطوة موفقة فى الواقع . فقد كانت الدراسات الاسلامية فى الجامعة إلى اليوم مشتتة مبعثرة ، ولم تكن برامج كلية الآداب المقتضبة لتسمح بالتوسع فى هذه الدراسات إلى الغاية المقصودة ؛ وكان مما يبعث على الأسف أن نجد فى كثير من الجامعات الأوربية الكبرى معاهد خاصة بالدراسات الاسلامية ولا نجد لها فى جامعتنا المصرية نظيراً . نعم إن العلوم التى ستدرس فى المعهد الجديد يدرس معظمها فى الجامع الأزهر ، ولكن الدراسة الأزهرية لهذه العلوم لا تجرى على القواعد العلمية الحديثة ولم تحقق حتى اليوم آمال أنصار الثقافة الاسلامية فى ميدان التخصص المستنير والتحقيق العلمى الصحيح .

الأستاذ ليفى بروفنسال

وفد على القاهرة منذ أيام العلامة المستشرق الأستاذ ليفى بروفنسال عميد معهد الدراسات الاسلامية برباط المغرب ليقوم ببعض بحوث فى مخطوطات بدار الكتب المصرية . والأستاذ بروفنسال من أكبر الاخصائيين فى عصرنا فى تاريخ الاندلس والمغرب أو كما يسميه تاريخ الغرب الاسلامى . وهو منذ ثلاثين عاماً يحقق وينقب فى هذا الميدان ؛ وله فيه عدة مؤلفات نفيسة منها بالفرنسية « تاريخ اسبانيا المسلمة فى القرن العاشر » و « النقوش العربية فى اسبانيا » . وقد أصدر طبعة جديدة بالفرنسية لتاريخ العلامة دوزى « تاريخ دولة المسلمين فى اسبانيا لغاية الفتح الرابطى » مقروناً بهوامش ومذكرات نفيسة . وأصدر فهرساً جديداً بالفرنسية للمخطوطات العربية فى الأسكوريال . ونشر عدة مؤلفات عربية قيمة فى تاريخ الأندلس والمغرب منها الجزءان الثالث والرابع من كتاب البيان المغرب لابن العذرى المراكشى ، وقطعة من تاريخ ابن حيان ، وكتاب لابن البيدق عن ابن تومرت . هذا عدا بحوث عديدة فى هذا الباب فى المجلة الأسيوية ، وفى دائرة المعارف الاسلامية . وقد وفق الأستاذ بروفنسال أيضاً إلى العثور فى مكتبات المغرب على عدة مخطوطات نفيسة عن تاريخ المغرب والأندلس منها كتاب « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام ، ولديه الآن منه نسخة كاملة ؛ ومنها الجزء الرابع الذى يحتفظ منه بنسخة وحيدة . ويعنى الأستاذ الآن بالعمل لاخراج هذا الأثر النفيس ، وقد أعد بالفعل أصول الجزء الأول منه ، وربما قرر طبعه بمدينة القاهرة ويعاونه فى هذه المهمة الجليلة عدة من الزملاء الأعلام

لجنة تأبين الرافعي

لبى دعوة الأستاذ الكبير محمود بك بسيونى رئيس مجلس الشيوخ بصفته رئيساً للرابطة العربية ، لفيف كبير من أئمة الأدب والبيان وأعلام الفكر والقلم للنظر فى تأليف اللجنة التى تؤدى واجب الرثاء والذكرى لفقيد العروبة والأدب السيد مصطفى صادق الرافعى . ولما اكتمل عقد الاجتماع طلب سعادة الرئيس وقف الجلسة دقيقتين حداداً على الفقيد الكريم وبعد ذلك شرع فى تكوين اللجنة فتم تأليفها على النحو الآتى :

سعادة الأستاذ الكبير محمود بسيونى رئيساً ، والأستاذ كامل زيتون سكرتيراً ، وحضرات أصحاب العزة والسيادة الدكتور محمد حسين هيكل بك والدكتور منصور فهمى بك وخليل ثابت بك وأنطون الجميل بك وميرزا مهدى رفيع مشكى بك والاستاذ احمد الاسكندرى وعبد الحميد سعيد بك والاستاذ محمد توفيق دياب ومصطفى عبد الرازق بك وعلى الجارم بك ومحمد أحمد جاد المولى بك وخليل مطران بك والأستاذ محمد مسعود والدكتور محجوب ثابت والأستاذ أحمد فريد رفاعى بك والأستاذ أحمد أمين والأستاذ أحمد حسن الزيات والسيد محمد الخضر حسين والدكتور زكى مبارك والدكتور أحمد نشأت وصالح جودت بك والأستاذ محمد عبد اللطيف دراز والأستاذ سامى السراج والأستاذ خير الدين الزركلى والاستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى والاستاذ عبد الله عفيفى والسيد عبد المقصود خضر والاستاذ محمد الهراوى والاستاذ محمد الأسمر والاستاذ أحمد الزين والاستاذ حسين شفيق المصرى والاستاذ حافظ محمود والاستاذ رمزى نظيم أعضاء

ثم قررت اللجنة ما يلى :

١ — أن يكون موعد الحفلة فى ١ اكتوبر المقبل مراعاة لفصل الأجازات الصيفية حتى يتمكن عارفو فضل الفقيد ومحبو آثاره من الاشتراك فى هذا الواجب المقدس

٢ — مخاطبة حضرة صاحب المعالى وزير المعارف العمومية فى شأن التصريح باقامة الحفلة بدار الأوبرا الملكية

٣ — توجيه الدعوة إلى حضرات الأدباء والشعراء بمصر والأقطار العربية الكريمة للاشتراك فى تأبين الفقيد وإرسال ما تجود به قرائحهم باسم سكرتير اللجنة الأستاذ كامل زيتون بعنوان الرابطة العربية بحدائق القبة شارع الملك رقم ١١٢

٤ — تكوين لجان من بين حضرات الأعضاء للشعر والنثر والتنظيم والنشر وتفويض كل لجنة فى أن تضم اليها من ترى فى اشتراكهم تحقيقاً لأغراضهم

٥ — تمثيل الأقطار العربية فى لجنة التأبين بقدر المستطاع حتى يقوم جميع الناطقين بالضاد بما يجب عليهم نحو الفقيد الكريم

٦ — تحديد الموضوعات النثرية التى سيتناولها الأدباء لبحثها والكتابة فيها وهى :

(١) تاريخ حياة الفقيد ومؤلفاته
(٢) مكانة الفقيد فى الشعر
(٣) المعركة بين القديم والحديث
(٤) أدب الرافعى الدينى
(٥) الجوانب الوجدانية فى أدب الرافعى
(٦) القصص التاريخى فى أدب الرافعى
(٧) أسلوب الرافعى فى الكتابة والنقد

ثم ارفض الاجتماع على أن تكون الجلسة المقبلة فى الأسبوع الأول من شهر يونيو المقبل

سكرتير اللجنة : كامل زيتون

تأبين الرافعي فى حمص :

لقد عزم فريق من أدباء الشباب الحمصى على أن يقيم حفلة تأبينية كبرى لفقيد البيان العربي المرحوم مصطفى صادق الرافعي ، وستكون الدعوة للاشتراك فى هذه الحفلة عامة تضم نخبة ممتازة من أدباء سوريا وشعرائها نخص بالذكر منهم الأساتذة : معروف الأرناءوط ، عمر أبو ريشه ، سامى الكيالى ، رفيق فاخورى ، أنور العطار ، محمد روحى فيصل ، عبد القادر جنيدى ، محيي الدين الدرويش ، رضا صافى ، برهان الأتاسى ، نذير الحسامى ، فؤاد الخورى ، بدر الدين الحامد ، أحمد نورس ، عبد الرحمن أبو قوس

سكرتير اللجنة : عبد القادر جنيدى

الطب المصرى القديم

فى سنة ١٨٧٣ نشر العلامة الأثرى الألمانى جورج ابرس وثيقة مصرية من البردى وفق إلى العثور عليها ، فكان لها وقع عميق فى جميع الدوائر العلمية إذ ظهر أنها تحتوى على خلاصة كبيرة من طب المصريين القدماء ؛ وهذه الوثيقة التى هى أكبر وثيقة من نوعها ترجع إلى سنة ١٥٥٠ ق . م . ومن ذلك الحين عثر المنقبون على عدد آخر من الوثائق الفرعونية الطبية ، منها وثيقة كاهون التى ترجع إلى سنة ١٨٠٠ ق . م ووثيقة ادوين سميث التى ترجع إلى سنة ١٦٠٠ وهى خاصة بالجراحة الفرعونية ، ومجموعة برلين الطبية وغيرها . وقد ظهر أخيراً كتاب عن وثائق الطب الفرعونية ولاسيما وثيقة ابرس عنوانه « بردى ابرس The Papyrus Ebers بقلم ثلاثة علماء دنماركيين هم : ايبل ولفين ومونكسجارد

وفى هذا الكتاب شرح واف لوثيقة ابرس وبسط لمحتوياتها الطبية وهى فيما يبدو أثمن مجموعة من نوعها . والظاهر أنها بمثابة شرح عام لقواعد الطب الفرعونية ؛ ومعالجة الأمراض المختلفة ، وبها عدة أقسام ، فمنها مثلا قسم يتعلق بعلاج الأمراض الباطنية ، وآخر بفن الجراحة ، وقسم للعقاقير الشافية ؛ والظاهر أيضاً أن ما فيها من المعلومات يرجع إلى عصر متأخر عن الذى كتبت فيه . ويقول الدكتور ايبل إن كثيراً من المعلومات تدلل على مبلغ ما وصل إليه الفراعنة فى فن الطب والعلاج من البراعة والمقدرة ؛ ثم إن كثيراً من العقاقير والعلاجات التي وصفت الأمراض خاصة تدلل على تقدم فن الكيمياء والصيدلة لديهم وعلى وقوفهم على أسرار كثير من الجواهر والعناصر العلاجية المفيدة

تنظيم أوراق البردى المصرية

قرأنا فى البريد الألمانى الأخير نبأ لم يرد فى الصحف المصرية ، وهو أن الحكومة المصرية قد استدعت العلامة الأثرى الألمانى الدكتور هوجو أبشر مدير قسم المحفوظات الكتابية بمتحف برلين إلى مصر ليقوم بتنظيم أوراق البردى المصرية بالمتحف المصرى وقراءة رموزها واتخاذ التحوطات الكيماوية لحفظها . والدكتور أبشر أعظم حجة فى قراءة أوراق البردى الفرعونية ، وله فوق ذلك مقدرة فنية خاصة فى فصلها واستخراجها من رزمها الملصقة ، ومن بين لفائف الموميات . ذلك أن أوراق البردى توجد أحياناً ملتصقا بعضها ببعض بحيث يتعذر فصلها ، ولما كانت تكتب غالباً من الجانبين ، فانه يجب بذل جهود فنية دقيقة لفصلها دون أن تمزق . وهذا هو فن الدكتور أبشر فهو يتولى فصلها وجمع قطعها ثم قراءتها . وقد اشتهر الدكتور ابشر بالأخص بتنظيم مجموعة البردى الخاصة بالفيلسوف مانى ، والتى وجدت بالفيوم منذ أعوام وتسربت إلى خارج مصر . واستطاع تصنيفها واستخراج صحائفها سليمة ، ومنها كتب بأسرها من كتب مانى . والمنظور أن يقضى الدكتور ابشر بمصر ثلاثة أشهر ليقوم بمهمته العلمية والأثرية الدقيقة ؛ لأن مصر تحتفظ بثروة طائلة من هذه الأوراق الأثرية النفيسة

ذكرى الموسيقى فاجنر

تحتفل مدينة لايبزج فى العام القادم بذكرى الموسيقى الشهير ريخارد فاجنر لمناسبة مرور مائة وخمسة وعشرين عاماً على مولده ومرور خمسة وخمسين عاماً على وفاته ؛ وبهذه المناسبة ستمثل فى مسرح لايبزج جميع أوبراته الشهيرة ، وستقوم بتنفيذها فرقة تحرص على تقاليد الموسيقى الكبير وسيحتفل فى نفس الوقت بازاحة الستار عن أثر عظيم لفاجنر



اسماعيل المفترى عليه

تأليف القاضى بيير كربتيس

وترجمة الأستاذ فؤاد صروف

للأستاذ الغنيمى

— ٦ —

عرضنا على القارىء فى المقالات الخمس السابقة أمثلة من الأغلاط التى يجدها القارىء فى ترجمة الأستاذ صروف ، ولقد وصلنا فى نقدنا إلى الفصل السادس من الكتاب ونظن أن الأمثلة التى ذكرناها تكفى لأن تعطى القارىء فكرة صحيحة عن هذه الترجمة ؛ وقد كانت معظم الأغلاط التى ذكرناها إما عبارات محذوفة رغم أهميتها ، وأما عبارات أضافها المؤلف من عنده غيرت المعنى ، وإما جملا ترجمت ترجمة خاطئة أفسدته . وقد ذكرنا مثلا أو مثلين من العبارات الغامضة التى لا يستطيع القارىء أن يفهم لها معنى . وسنلقى نظرة عاجلة على الفصول الباقية من الكتاب ونمر بها مراً سريعاً وسنضرب صفحاً عن العبارات المحذوفة أو المضافة ونكتفى بذكر أمثلة قليلة من العبارات التى ترجمت على غير حقيقتها فغيرت المعنى تغييراً كبيراً ، وذلك لكى نصل إلى الفصول الأخيرة من الكتاب فننقل للقراء نوعا جديداً من الأغلاط هو تحريف الأسماء وتغييرها . وليس أضر على الكتب التاريخية والجغرافية من تحريف الأسماء لأن ذلك يفقدها قيمتها

فمن العبارات التى ترجمت على غير حقيقتها .

Gordon's aide de camp

وقد ترجمها المؤلف بقوله « رئيس أركان حرب الجنرال غردون » وليس معنى aide - de - camp أركان حرب ولا رئيس أركان حرب بل معناها « ياور » وقد ظننا أول الأمر أن القاموس لم يذكر هذا اللفظ - وإن كان هذا لا يجيز للأستاذ صروف أن يخطىء فيه - ولكننا وجدناه مشروحاً شرحاً وافياً لا لبس فيه ولا غموض فقد فسر هذا اللفظ هكذا .

An offirer who carries the onders of a general on the field and brings him Intelligence

(١) الضابط الذى ينقل أوامر القائد فى ميدان القتال ويأتيه بالأخبار . فهل هذا عمل رئيس أركان حرب الجيش . إن الاستاذ صروف نفسه قد ترجم Chief of staff فى ص١١٣ من الكتاب برئيس أركان حرب ولا ندرى لماذا لم يتنبه بعد ذلك إلى اصلاح خطئه السابق .

(٢) ثم أنظر إلى هذه العبارة الغامضة التى لا يستطيع الانسان أن يفهم لها معنى « أما الشأن المعزو إلى عمل الكولونيل ماسون فراجع إلى كونه اكتشف نهراً يخرج من بحيرة ألبرت » . إن وضوح المعنى هو أول ما يجب أن يحرص عليه المترجم

(٣) وهاك مثلا آخر من الغموض الذى يحير القارىء ، ذلك هو قول الأستاذ صروف فى وصف ابراهام بك « رقيب » اسماعيل باشا فى الآستانة « ولكنه مع سيطرته على سياسة الباب العالى وعدم إخفائه نوره تحت مكيال تمكن من أن يجتنب الشهرة الصحفية » فهل لأحد القراء أن يدلنا على معنى « وعدم إخفائه نوره تحت مكيال » ؟ أو على معنى « تمكن من أن يجتنب الشهرة الصحفية ؟ »

إن الذى يعجب له كثيرا أن الأستاذ صروف فى بعض الأحيان يترجم عبارات المؤلف كلمة كلمة وإن لم يؤد ذلك إلى معنى ، وفى البعض الآخر يغفل عبارات المؤلف ويأتى هو بعبارات من عنده مع أنه لو لم يتصرف فيها وترجمها ترجمة حرفية لجاء بالمعنى المراد .

(٤) ولا يختلف عن هذا قول الاستاذ صروف « وعرض على المقترح التالى حبرا على ورق » والمعنى الوحيد الذى أفهمه أنا ويفهمه القارىء من لفظ حبر على ورق هو « أنه شىء لا قيمة له

أولا يراد له بقاء ، ولكن المؤلف يريد أن يقول إن صاحب الاقتراح عرضه « كتابة »

He submitted to me in writing.

(٥) ثم انظر معى أيها القارئ. كيف ترجم الأستاذ صروف العبارة الآتية : —

As soon as the consideration fon its transfer wos forth coming.

فقال « ولما كان النظر فى هذا التبادل متوقعاً فى المستقبل » وهو كلام ليس له معنى : والمؤلف يريد أن يقول « ولما أوشك المال أن ينتقل من يد إلى يد »

(٦) وانظر أيضاً إلى العبارة التالية من قول المؤلف

And i take it therefore that a certain solid advantage attached, at any rate in his opinion, to the distinction betwèen his being officilaly dsicribed as a k'hedive instead of as a vicerey.

وإلى ترجمة الأستاذ صروف وهى :

وعندى أنه كان يعلق امتيازا - فى رأيه على الأقل - على التمييز بين تلقيبه بلقب خديو بدلا من وال .

ومعنى هذه العبارة هو « ولهذا أعتقد أنه هو على الأقل كان يرى أن ثمة فائدة حقيقية فى تغيير لقبه الرسمى من وال إلى خديو »

(٧) وهاك مثلا آخر لا يقل عن الأمثلة السابقة فى تغيير المعنى قال المؤلف نقلا عن رسالة إلى سمو الخديو

Your Highness will afford the Sutn pleasure if your Highness will give L 7 500 plus 1,100 for the Imperial suite and ship's company.

فقال الأستاذ صروف « إن سموكم تتيحون لجلالته فرصة للاغتباط إذا تبرعتم بمبلغ ٧٥٠٠ جنيه مضافاً إليه ١١٠٠ للحجرات الملكية فى السفينة ، فجعل الأستاذ عبارتى Imperial suite Ships Com-oany - شيئاً واحداً ثم ترجمها ترجمة خاطئة بقوله الحجرات الملكية فى السفينة ، والمعنى الحقيقى هو « الحاشية السلطانية ورجال السفينة أو بحارة السفينة ، ويريد بهما الحاشية التى صحبت السلطان إلى مصر وبحارة السفينة التى أقلته اليها فى هذه الزيارة

(٨) وقال المؤلف أنه كان يفهم أن.. Beys ana journaistsits cost less than birds and dogs. فقال الأستاذ صروف فى الترجمة

« ما ينفق على بعض الباشوات والبكاوات كان أقل مما ينفق على الطيور والكلاب »

لا ندرى لماذا استبدل الباشوات بالصحفيين مع أن أولئك الصحفيين الذين يشير اليهم المؤلف كانوا كلهم من الأجانب وليس منهم باشا واحد .

(٩) وهذه عبارة أخرى أخطأ المترجم فى فهمها فقلب معناها : أرسل ابراهام إلى الخديو يبلغه أنه قابل الصدر الأعظم وحادثه فى شأن المبلغ الذى طلبه هذا وهو ١٥٠٫٠٠٠ جنيه وشرح له وجهة نظر سمو الخديو ثم يقول :

He entirely approves of it, thanks your highness for having proposed it, and accepts it.

والمعنى الذى يفهمه كل إنسان من هذه العبارة هو أن الصدر الأعظم يوافق على اقتراح سمو الخديو ويشكر له اقتراحه ويقبله ولكن الاستاذ صروف يقول فى ترجمة هذه العبارة :

« وهو يوافق عليها كل الموافقة ، ويعرب لكم عن شكره لسموكم لأنكم اقترحتموها وقبلتموها » وبذلك جعل سمو الخديو هو صاحب الاقتراح وهو الذى يقبله وهو كلام غير معقول ويخالف النص الانجليزى كل المخالفة ، فالخديو هو الذى اقترح والصدر الأعظم هو الذى قبل الاقتراح .

(١٠) ومن العبارات التى لا يستطيع إنسان أن يفهم معناها قول الأستاذ صروف عن ديون اسماعيل « إن هذه الأرقام تدل على أن أصحاب البنوك ابتزوا من اسماعيل مبلغ ٢٣٫٢٤٧٫٨٠٠ جنيه على قروض مجموعها ٤١٫٩٥٧٫٠٠٠ وأما هذا المبلغ بخصم كبير ولا سيما لأن جميع هذه القروض ما عدا قرض سنة ١٨٦٥ كانت بفائدة ٧ فى المائة .

ولا ندرى ما ذا يريد الأستاذ بقوله وأما هذا المبلغ بخصم كبير الخ وبهذه المناسبة نقول إن الأستاذ صروف استبدل برقم ٦٥٫٢٠٤٫٠٠٠ جنيه الذى ذكره المؤلف رقماً جاء به هو ، وذلك الرقم هو ٤١٫٩٥٧٫٠٠٠ لسبب لا نعرفه

(١١) هل يصدق أحد أن نفقات حملات إفريقية الوسطى كانت أكثر نسبياً من نفقات الحرب العظمى الماضية ؟

ذلك ما يقوله لنا الأستاذ صروف فى ص ١١٥ من ترجمته مع أن كل ما يقوله المؤلف هو

The Armies thus equipped cost relatively large sums.

إن عدم الدقة فى الترجمة يفسد كل شىء على المترجم

(يتبع) الغنيمى